

جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط

محاضرات
فى
فن كتابة المقال

إعداد

أ.د / زهران محمد جبر — أ.د / داود لطفي حافظ

أستاذ ورئيس قسم الأدب — أستاذ الأدب والنقد المساعد

١٤٢٤هـ ــ ٢٠٠٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، وعلى خاتمهم حبيبنا المصطفى ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على دربهم واقتفى أثرهم ونهج نهجهم إلى يوم الدين .

وبعد ،، ،، ،،

فهذه محاضرات عن " فن كتابة المقالة " نقدمها إلى طلاب الفرقة الأولى بكلية اللغة العربية بأسيوط حاولنا فيها تعريف الطلاب بهذا الفن الذى يشغل حيزاً كبيراً على الساحة الأدبية ، والذى يعرض من خلاله الكتاب آراءهم وأفكارهم ، ويعالجون به مشكلاتهم وقضاياهم ، والذى كان سبباً فى ذيوع صيت كثير منهم حتى عدوا أعلاماً يشار إليهم بالبنان داعين المولى عز وجل أن تكون هذه المحاضرات لقرائها غيثاً نافعاً ، يصيب أرضاً خصبة فتؤتى أكلها كل حين بإذن ربها .

وحتى يتحقق الهدف من هذه المحاضرات جاءت تعالج الموضوعات التالية :

ـ التعريف بالمقالة ، والفرق بينها وبين الخاطرة والبحث ، وخصائصها الأدبية ، وصفات كاتبها .

ـــ إلقـــاء الضوء على المقالة فى تراثنا العربي ، وفى أدبنا الحديث وأثر الصحافة فيها .

ـــ توضـــيح العناصر التى يقوم عليها فن المقـــال ، والخطوات الـــتي ينبغي أن يمر بها كاتب المقال بدءاً من اختيار الموضوع حتى الانتهاء من خاتمتـــه .

ـــ تقـــديم عـــرض لأنـــواع المقالة من حيث الشكل والموضوع والأســـلوب مـــع عرض لنماذج من كتابات كبار الكتاب وتحليلها فنياً موضوعياً لتكون عوناً للطلاب على فهم ما يقرءون ، ومحاولـــة محاكاته مستنيرين بما درسوا .

والله من وراء القصد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل

أ.د / زهران محمد جبر	أ.د / داود لطفي حافظ
أستاذ ورئيس قسم الأدب	أستاذ الأدب والنقد المساعد

الفصل الأول

المقالة وخصائصها الفنيـــة

تعريف المقالـــة : (*)

اختلف الباحثون والكتاب فى تعريف المقالة ، فمنهم من يرى أنها عـــبارة عـــن مجموعة من الخواطر والتأملات لا تجرى على نسق معين ، ولـــيس لها نظام خاص ، بل يمارس الكاتب حريته كاملة فى الطريقة التى يصوغ فيها أفكاره وتأملاته ، حيث يعرفها الدكتور جنسون أحد كتاب المقالة فى أطوارها المبكرة بأنها نزوة عقلية لا ينبغي أن يكون لها ضابط من نظـــام ، وهي قطعة لا تجرى على نسق معلوم ، ولم يتم هضمها فى نفس كاتبها . (1)

وهذا التعريف ربما يصدق على المقالة فى بدايتها الأولى ، ولكنه ـــ فى ذات الوقـــت ـــ مؤشـــر مهـــم على طبيعة المقالة ، ففي اشتقاقها اللغـــوي الأجنبي والعربي ما يوحي بمثل هذا المعنى ، فالدلالات التى تشير إلـــيها المفردات اللغوية المستخدمة للدلالة على المقالة تقترب بالمقالة من هذا المفهوم ، إذ تعني فى مجملها محاولة أو خبرة أو تطبيقاً مبدئياً أو تجربة

(*) راجع د/ محمد صالح الشنطي : فن التحرير العربي ص ٢٤٥ ـــ ٢٤٦ دار الأندلس ـ. حائل ـــ السعودية .

(1) راجـــع د. إبراهـــيم إمام : دراسات فى الفن الصحفي ، الأنجلو المصرية ، القاهرة (د.ت) ص ١٨٠ .

أولـــية ، فهـــي وفقاً لذلك تبقى الباب مفتوحاً أمام المصطلح ليومئ إلى أشـــكال متباينة وغير محددة من التعبير ، وكذلك الكلمة فى اللغة العربية فهي مصدر ميمي بمعنى القول ، والقول قد يتشكل فى أنماط متعددة وغير محددة .

لهـــذا نجد كاتباً عربياً متخصصاً فى هذا الميدان يعرف المقالة بأنها " وثـــبة عقلـــية لا ينـــبغي أن يكـــون لهـــا ضابط من نظام " [1] على غـــرار تعـــريف جونســـون على الرغم من مرور عشرات السنين على هذا التعريف .

ويقـــترب تعـــريف الدكتور / محمد يوسف نجم ، من مضمون التعريف الذى أوردته الموسوعة البريطانية ويبدو أكثر شمولاً حيث يقول:

" المقالـــــة نص نثري محدود الطول يدور حول موضوع معين تظهـــر فيه شخصية الكاتب وله مقومات فنية تتمثل فى المقدمة والعرض والخاتمـــة وشـــرطها الأساسي أن تكون صياغتها أدبية سلسة تستهوى القارئ " .

وعـــلى العموم ، فإن ثمة اجماعاً بين الباحثين على أن المقالة فيها شئ من العفوية وقلة التعمق أو الإحاطة والشمول والتنظيم وخصوصاً ما اصـــطلح على تسميته بالمقال الصحفي ، وإن كان البعض قد أصر على الشبه بين المقالـــة والبحث .

---

(١) راجـــع د. إبراهـــيم إمام : دراسات فى الفن الصحفي ، الأنجلو المصرية ، القاهرة (د.ت) ص ١٨٠ .

الخاطرة والمقال والبحث (*)

هــناك نوعــان من العمل الأدبي نطلق عليهما لفظ " المقــالة " وهمــا يتشــابهان فى الظاهر ويختلفان فى الحقيقــة ، فإحداهما انفعاليــة والأخــرى تقريريــة ، ولعل من الأنسب أن نفرق بينهما فى الاسم بدل أن نفــرق بينهما فى الوصف فنقصر لفظ " المقــالة " على النوع الثاني { التقريري } ، ويسمى النوع الأول { الإنفعالــي } " خاطرة " ونبادر بكلمة إيضاحية عن كل منهما تكشف عن الطبيعة المختلفة لكليهما .

الخاطــرة فى النــثر تقــابل القصيدة الغنائية فى الشعر ، وتؤدي وظيفتها فى عرض التجارب الشعورية التى تناسبها ...

أمــا المقالة فهي فكرة قبل كل شئ ، وموضوع ، فكرة واعية ، وموضوع معين ، يحتوى قضية يراد بحثها ، قضية تجمع عناصرها وترتب بحــث تــؤدي إلى نتيجــة معينة وغاية مرسومة من أول الأمر ، وليس الانفعال الوجداني هو غايتها ولكنه الاقتناع الفكــري ...

إنها تشرح فكرة وتجمع لها الأسانيد ، وتعتاض عن اللفظ المصور بــاللفظ المجــرد ، وتغنى فيها المعاني المجردة عن الصور والظلال فى معظم الأحوال .

ومثلها هو سائر ما نكتبــه من بحوث قصيرة حول مسألة واحدة

(*) راجــع د/ داود لطفــي : فــن المقالــة عند أحمد حسن الزيات ص ٢٣ وما بعدها .

من المسائل السياسية أو الاجتماعيـــة أو الفلسفة فهي بحث قصير .

وهـــناك البحـــث الطويـــل ، الذى يتناول الموضوع من جوانبه المتعددة ، بتسلسل خاص يجعل كل فصل أو عدة فصول مقدمات لنتائج متدرجة تصل إلى نهايتها فى نهاية الكتـــاب .

والفـــارق بـــين البحث الطويل والمقـــالة ، أن هذه تعالج فكرة واحدة فى الغالب ، يصل القارئ إلى نتيجتها عند فراغـــه من المقالـــة .

أمـــا البحـــث الطويل فكل فصل فيه يعالج جزءاً من الفكرة ، ويصلح مقدمة للفصل الذى يليه ، وجميع فصولـــه متعاونـــة .

والبحث طويلاً أو قصيراً يقف فى آخر صفوف الأعمال الأدبية ويكـــاد ينسلخ منها ، ولا يمسك به فى الصف إلا أن يحتوى على تجارب شعورية ، كما فى البحوث الأدبيـــة ، وإلا أن يعبر عن هذه التجارب فى صورة ليست ذهنية .

أما الخاطرة فداخلة فى صميم " العمل الأدبي " كالقصيدة سواء بسواء . [1]

وهذا الكلام ليس على إطلاقـــه فى التفريق بين المقالة والخاطرة من حيث اشتمال إحداهما [الخاطرة] على الانفعال الوجداني والأخرى

---

[1] راجـــع : سيد قطب : النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، ص ٩٣ ـــ ١٠٤ ـــ دار الشروق ، الطبعة الخامسة ١٤٠٣هـــ / ١٩٨٣م .

[المقالــة] على التقرير ، وقرب الخاطرة من القصيدة الغنائية فى الشعر وقيامها بأداء وظيفتها فى عرض التجارب الشعورية .

فالواقع أن المقالة أيضا تهتم بإبراز الفكرة من ناحية تأثر الكاتب وانفعالــه بها ووضوح شخصيته فيها ، ومن هنا فإن الأستاذ " سوارس " فى كــتابــه : مقدمـــة لدراســة الأدب كان منصفاً حين قسم المقالات قسمين :

١ــ الأول : قطــع إنشائية فى موضوع من موضوعات العلم أو الفلسفة أو التاريخ أو النقد ، وغرضها الأول عرض طائفة مــن " المعلومات " ومثل هذه المقالات قابلة لأن تكبر حتى تصير بحوثــاً .

٢ــ الــثاني : عــبارة عن قطع قصيرة فى أسلوب استطرداي ، تشــتمل عــلى وجهة نظر الكاتب ، فهي محاولة منها أن يسجل الآراء التى يثيرها الموضوع فى فكره ، والموضوعات الــتى لا تقــع تحــت حصــره ولكنها يجب أن تصطبغ بالانفعــالات وشخصــية المؤلف ، والمقالات التى من هذا الــنوع لا يمكــن أن تكبر لتصبح بحوثاً ، إنها قطع كاملة بنفسها . [١]

---

[١] د/ محمــد عوض محمد : محاضرات عن فن المقالة الأدبية ، ص ٦١ ــ جامعة الدول العربية ــ معهد الدراسات العربية العالية ١٩٥٩م .

وقــد يكــون الأنســب أن نقول : " إن المقالــة الأدبية تشبه القصيدة من الشعر الغنائي ، بأنها مبنية حول خاطر من الخواطر : لا يكاد الخاطر أن يتكون ويملك لب الكاتب ، حتى تتكون حولــه المقالــة من أولها لآخرها ، كما تتكون كرة الحرير حول دودة القز " . [١]

وهكذا فإن الخاطرة لون من ألوان المقالــة ؟ وفكرة من أفكارها بل قد تكون هي الفكــرة الأم .

أمــا إذا كــان هناك فرق بين المقالة والخاطرة فيكون من حيث الكــم ، إذ تعــرف الخاطرة " بأنها قالب من التعبير تتكون من عدة جمل جــيدة تتناول فكرة رئيسية واحدة .. وهي ليست فكرة ناضجة وليدة زمن بعيد ، بل هي مجرد لمحة وليست الخاطرة كالمقال مجالاً للأخذ والرد ، ولا هي تحتاج إلى الأسانيد والحجج القوية لإثبات صدقها ، وتتطلب من الكاتــب قدراً كبيراً من الذكاء وقوة الملاحظــة ، إذ إن أهميتها تأتي من أنها تستطيع أن تشد انتباه القارئ إلى الأشياء الصغيرة من حولنا والتي لها دلالات كبيرة " . [٢]

---

[١] د/ محمد عوض محمد : المرجع السابق ، ص ٦٢ .

[٢] راجــع بتصــرف د/ أحمد شوقي رضوان ، و د/ عثمان بن صالح الفريح : الــتحرير العربي ، ص ١٥٢ ــ ١٥٣ ــ النشر العلمي والمطابع ــ جامعة الملك سعود : المملكة العربية السعوديــة .

خصائص المقالة الأدبية (*)

أولاً : مــن خصائص المقالة الأدبية الإيجاز فى كتابتها ، وتجنب الإطالة والبعد عن التوغل فى البحث عن الظواهر ، وعرض التفصيلات وإيــراد الاستقراءات الدقيقة لجزيئات الموضوع وترتيبها للوصول بها إلى نتائجها كما هو الشأن فى تأليف الكتب وكتابة المباحث العلمية . (١)

ثانياً : ينبغي أن يشعر القارئ نحو المقالة وكاتبها أنه تجاه حديث ممتع لمحدث لبق يستهويه بحسن عرضه ، وليس أمام واعظ يعظه ويوجهه ، فــالمهم فى كــتابة المقالة هو طريقة كاتبها فى عرض ما يتأمله أو يشعر به ويحســه ، فكتابــته للمقالة من نوع التعبير الوجداني عما يعرض له من مشاهد الحياة ومواقف الأحياء .

ثالـــثاً : التعــبير الوجــداني فى المقالة الأدبية ليس معناه حصر موضـــوع المقالة فى الكاتب نفسه ، ولكن المراد أن ما يعرضه الكاتب فى

(*) راجــع د/ عطــاء كفافي : المقالة الأدبية ص ١٣ وما بعدها ، دار هجر ، الطبعة الأولى ١٩٨٥م .

(١) كانــت مقالات مونتاني ــ وهو أول من كتب المقالة الأدبية فى الغرب وأبرز كــتابها ــ يــتراوح طولهــا بين عشر صفحات وأربعين صفحة من القطع المتوسطة تقريبا . انظر أحمد أمين وزكي نجيب محمود فى قصة الأدب فى العالم الجــزء الثاني ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٥م ، ص ٦٤ .

المقالة إنما يعرضه من خلال رؤيتـــه الخاصة وطابعه المميز عمن سواه من الكتاب .

ومـــن التجارب الفنية فى المقالة الأدبية ما هو ذاتى محض ، ومنها مـــا يـــتجاوز حدود الذاتية الخاصة بالكاتب إلى آفاق عامة : إنسانية أو اجتماعية أو دينية أو وطنية ينفعل بها الكاتب انفعالاً صادقاً لا تزييف فيه ولا تقليد ، كما ينفعل بها الشاعر فى شعره والقاص فى قصصه .

والصدق الفني فى التجربة التى يكتب عنها الكاتب لا يستلزم أن يعانيها بنفسه ، بل يكفي أن يتمثلها ، ويكون شعوره بها قوياً ، وأن يتوفر لـــه من الحس المرهف والمقدرة الفنية ما يمكنه من تصويرها تصويراً حياً مؤثراً .

رابعاً : لكاتب المقالة الأدبية إذن الحرية فى أن يكتب ما يشاء ، فأمامـــه مصـــادر إلهام كثيرة : الحوادث اليومية ، والمشكلات البيئية ، وهمـــوم الإنسان وقضاياه التى تشغله ، وغيرها ، كل هذا معروض لديه ليســـتخلص منه ما يريد من المعلومات والدروس ويعكس انطباعه بها ، ويبدى رأيه الخاص فيهـــا .

خامساً : ينبغي أن تكون معالجة الموضوعات فى المقالة الأدبية فى جـــو مـــن الطـــلاوة ، وفى أسلوب حر من أغلال الصنعة ، والتنزه عن الابـــتذال ، وفى عبارة بليغة ، وعرض سوي شائق يجمع بين دقة الملاحظة وحرارة الفكرة وخفة الروح .

ولكي يكون لكاتب المقالة الأدبية التأثير القوي فى نفس القارئ ينـــبغي أن يجعل كلماته وعباراته والخواطر التى تعرض له موجهة لإبراز الفكـــرة الأساســـية وتوضيحها ، والبعد عن كل ما يعوق ذلك الإبراز وهذا التوضيـــح .

سادســـاً : مـــن خصائص المقالة الذاتية الطرافة فى فكرها وفى تناولها ، وأنها تعبر عما يجول فى نفس الكاتب ، وما يشعر به إزاء مجتمعه وحـــيال من حولـــه ، فهي محاولة تصور إحساس الكاتب ولا تسوقه فى قالـــب تعريـــري ، وتنقل انفعاله فى إيقاع حي يقظ ، ولا تأتي به جامداً خامداً .

سابعاً : عنصر العاطفة فى العمل الأدبي عنصر أساسي ، ومن ثم فهـــو يحتاج فى أدائه إلى الخيـــال الذى هو لغة العاطفة ، وبعثها فى نفس القـــارئ ، ولا يمـــنع الإمـــتاع العاطفي فى المقالة الأدبية من الومضات الفكرية أو اللفتات الذهنية .

" فـــالفن إذا لم يرفده الفكر كان مجرد أحلام ساذجة ، وأخيلة تافهة شاردة لا تتصل بالنفس ولا بالحياة ، والفكر هو طاقة الفن الكبرى وهـــو مصدر إلهامـــه الأعظم ، والفكر لا يكون كذلك إلا حين يصبح جـــزءاً مـــن الفنان ، وعنصراً من وجوده الفني ، وحينذاك يصبح توجيه الفكر للفن صادراً من ذات الفنان لا من عالم خارج عن ذاته ، فأي خطر

على الفن من هذا إذن ؟ " . [١]

فالفكـــر يشد أزر العاطفة ، وهى توقظه وتنشطه ، وهما يبعثان الإرادة ، ويـــندر أن توجـــد فكرة جيدة لا تثير عاطفة ولا تحرك إرادة ، فلـــيس هناك تضاد إذن بين الفكر والعاطفة ، بل العكس هو الصحيح ، لأنهما يتآزران فى العمل الأدبي والفنـــي .

فالمقالـــة الأدبـــية الجيدة إذن تنم عن تفكير ناضج وعن عاطفة جياشـــة ، مجلـــوة بأسلوب أدبي متقن ، لأنه ليس معنى وجدانية التجربة الفنـــية لكاتب المقالة الأدبية أن تكون بعيدة عن فكره ، فهو حين يصور تجربـــته ويعبر عن ذاته فى الوقت نفسه عن موقفه تجاه الحادث الذى أثر فيه أو المشهد الذى انفعل به .

وهو بهذا التعبير يقدم لنا آراءه حتى ولو لم يقصد إلى ذلك عمدا ثم إن الكاتب تستغرقه عملية الإبداع الأدبي ، فإذا جاءت مرحلة التعبير أشرف الفكر على تنسيق خواطره ، وإحكام أدائها كيلا تختل أو تتعارض وبقـــدر مـــا يتاح للكاتب من خصب الفكر وعمق النظرة إلى الإنسان والكون تتجاوز مقالتـــه حدود مكانـــه وزمانـــه ، فيؤثر من لا تربطهم بـــه رابطـــة القطر أو العصر ، لكن الأفكـــار لا ينبغي أن تساق سوقاً تقريـــرياً ، بل تأتي عبر وجدان الكاتب (وكلما وجدت الكاتب أدنى إلى

---

[١] حسين مروة : مع القافلة ، بيروت ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٥٢ ، ص ٨٩ .

أن يحدثـــك عن تاريخ نفسه فيما يكتب ، إن رأيته يرسل الخواطر إرسالاً هيـــنا فيستشف منها ما وراءها من حالتـــه النفسية فاعلم أنه قد أجاد ، أما إن وجدته يعالج موضوعـــاً لا يتصل بمكنون نفســـه ، ويعنى بتنظيمه وثبوتـــه كما ينظم البحث العلمي فاعلم أنه عن الجودة بعيد) . [(١)]

ثامـــناً : لنا الآن أن نتساءل هل للمقالة نهج معين ؟ فإن القالب الأدبي لا يســـتغنى عـــن النهج ، ولكنه يختلف باختلاف القوالب ، ففي بعضها نجده بارزاً لا تخطئه العين يتناسب تناسباً مطرداً مع المقدرة الفكرية فى العمل الأدبي ، فكلما زادت القيمة الفكرية فى العمل الأدبي برز النهج ويتوارى إذا كان العمل يغلب عليه الاتجاه العاطفي . [(٢)]

وإذا طبقـــنا ذلك على المقالة الأدبية وجدنا أن النهج غير بارز فيها ولا نكاد نلمحه فى الغالب ، فليس من السهل إذن أن نحدد للمقالة الأدبية نهجاً معيناً .

تاســـعاً : ممـــا يساعدنا فى تحديد خصائص المقالة الأدبية كاتب المقالـــة نفسه ، فإن كان أديبا له قلمه المميز فى عالم الأدب ساعدنا ذلك عـــلى تحديـــد نوع المقالة ، فمثلاً لو وجدنا مقالة تناولت قضية إسلامية

---

(١) د. زكي نجيب محمود : فنون الأدب ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٩ ، ط ثانية ، ص ٦٧ .

(٢) انظـــر د. محمـــد كامل جمعة : الأسلوب ، القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٣م ، ط ثانية ، ص ٤١ .

كتـــبها عـــباس محمود العقاد ، أو مقالة تعرضت لتجربة ذاتية لإبراهيم عبد القادر المازني ، أو مقالة لطه حسن عن ظاهرة أدبية ، أو مقالة لأحمد حســـن الزيات عن مشكلة اجتماعية لم نجد صعوبة فى عد هذه المقالات مقالات أدبيـــة .

عاشـــراً : قد نرى مقالات فيها بعض خصائص المقالة الأدبية ، أو بعـــض صفات المقالة العلمية ، أو بعض مظاهر المقالة الصحفية فكيف نحدد نوعها ؟

يمكنـــنا أن نقول إن العبرة فى هذا بالسمات الغالبة على المقالة ، فليســـت هـــناك حدود فاصلة بين أنواع المقالات ، لأن هذه هي طبيعة المقالة إذ ليست لها تلك القوالب المحدودة الصارمـــة .

وفى هـــذا المعـــنى يقول الدكتور / زكي نجيب محمود : " ولعل عسر المقالة ناشئ من أنها ليس لها حدود مرسومة يحفظها المبتدئ فينسج على منوالها كما يفعل فى القصة أو القصيدة " [1] ، وقريب مما ذهبنا إليه حديث الدكتور محمد عوض محمد فى تعريفه بالمقالـــة الأدبية إذ يقول :

" وهـــذا الـــتعريف بفن المقالـــة الأدبية ليس من الضروري أن ينطـــبق تمام الانطباق على كل مقالـــة ، ولكنه يتيح لنا مقياسا نقيس به المقالـــة الأدبية فى صورتها الكاملة ، ومن الجائز أن تكون هناك مقالات أدبية دون مرتبة الكمال فى بعض النواحي ، وتعوض هدا النقص فى نواح

[1] د. زكي نجيب محمود : جنة العبيط ، ص ١٥ .

أخـــرى ، إن كل نتاج فني لا يمكن تقديره قدره بأن نطبق عليه قواعد أو أوصـــافاً أو شــروطاً ، بــل لابــد فى النهاية من تحكيم الذوق ، وهذه الــتعريفات والشروط قيمتها أنها تنبه ذهن القارئ ، وتعده لتحكيم ذوقه فيما يقرأ " . [1]

وأخيراً نجمل العناصر الرئيسية للمقالة الأدبية فيما يلي :

١ـــ صدق إحساس الكاتب .

٢ـــ الأصالة بمعنى التعبير عن الذات .

٣ـــ وجهة نظر خليقة بالبروز .

٤ـــ جمال التعبير .

٥ـــ قوة الإثارة أو الإمتـــاع .

وهـــذه العناصر لا تجتمع بنسب واحدة عند جميع كتاب المقالة الأدبية ، فهم ـــ بطبيعـــة الحال ـــ مختلفون فيها .

---

[1] د. محمـــد عـــوض محمد : محاضرات عن فن المقالة الأدبية ، القاهرة ، معهد الدراسات العالية ، ١٩٥٩ ، ص ٦٥ ، ٦٦ .

صفات كاتب المقالة الأدبية

بعد أن وقفنا على خصائص المقالة الأدبية نستكمل هذا الجانب بمـزيد مـن التوضـيح عن صفات كاتب المقالة الأدبية ، وقد عرفنا أنه صاحب قلم يعبر عن الحياة ومظاهرها المختلفة ، ويتناولها بأسلوبه الخاص فهـو لا يـنظر إليها بنظرة المؤرخ أو الفيلسوف أو العالم أو القاص أو الشاعر ولكن فى فنه شئ من هذا كله ، وليس يعنيه أن يكشف نظريات جديـدة ، ولكن طريقته أن يراقب ويرصد ويفسر الأشياء كما تبدو له ، ثم يدع خياله يمرح فى جمالها ومغزاها .

والغايـة مـن هـذا كله أنه يحس إحساساً عميقاً بصفات الأشياء وسـحرها ، ويـريد أن يلقى عليها نوراً واضحاً رقيقاً لعله يستطيع أن يزيد الـناس حباً فى الحياة ، وأن يعدهم لما اشتملت عليه من المفاجآت المفرحة أو المحزنـة .

فالنـواة الأساسية للمقالة الأدبية فكرة أو خاطرة تخطر للكاتب وقد استوحى هذه الفكرة أو الخاطرة من قراءاته ، أو من تجاربه الخاصة ، أو من ابتكاراته ، أو من شئ شاهده أو توهمه ، وهذه الفكرة أو الخاطرة يحس بها الكاتب إحساساً يأخذ فى التصور والتشكل فى نفسه حتى يخرج على الورق كائناً متكاملاً هو المقالـة الأدبية التى يستطيع بها الكاتب أن ينقل إلى أحاسيس الناس وعقولهم الصورة التى رسمها بدقة وقوة ووضوح بحيث لا يتسنى إدراكها ـــ فى جمالها وتأثيرها ـــ بوسيلة أخرى من وسائل

التعبير الأدبي .[١]

والعلاقــة بين كاتب المقالة الأدبية الجيدة وقارئه هي علاقة ود وحب وثقة " بحيث يجد القارئ نفسه إلى جانب صديق يسامره ، لا أمام معــلم يعنفه ، نريد من كاتب المقالة الأدبية أن يكون لقارئه زميلاً مخلصاً يحدثه عن تجاربه ووجهة نظره ، لا أن يقف منه موقف الواعظ فوق منبره يمــيل صلفا وتيها بورعه وتقواه ، أو موقف المؤدب يصطنع الوقار حين يصب في أذن سامعه الحكمة صبا ثقيلاً . نريد للقارئ أن يشعر وهو يقرأ المقالــة الأدبــية أنــه ضيف قد استقبله الكاتب في حديقته ليمتعه بحلو الحديث ، لا أن يحس كأنما الكاتب قد دفعه إلى مكتبته ليقرأ له فصلاً من كــتاب " .[٢] وحــبذا لــو جمع الواعظ والمؤدب بين الوعظ والتأديب بالحكمة والموعظة الحسنة ، والإقناع والإمتــاع .

وكاتب المقالة الأدبية يدرك ما للألفاظ وتراكيبها من قوة تعبيرية فيحسن استعمالها بذكاء ، بحيث يؤدي بها ــ فضلا عن معانيها العقلية ، أو مدلولاتهــا المباشرة ــ كل ما تحمل من صور مدخرة ومشاعر كامنة ، والكاتــب الناجح هو الذى يفيض عنه التعبير فيضاً كما يتفجر الينبوع بالمــاء ، مــع الحــرص على الرفق بقارئه حتى لا ينفر منه " لأن واجب الأديب الحق أن يجذب القارئ كي يمعن في القراءة ، كأنما يسرى هو عن نفسه المكروبة عناء اليوم ، أو يزجي فراغــه الثقيــل .

---

[١] انظر د. محمد عوض محمد : محاضرات عن فن المقالة الأدبية ، ص ٦٤ ، ٦٥.

[٢] د. زكي نجيب محمود : جنة العبيط ، ص ١٠ .

وهو كلما قرأ تسلل إلى نفسه ما شاع فى سطور المقالة من نكتة خفـــيفة وسخرية هادئة ، دون شعور منه بأن الكاتب يعمد فى كتابته إلى النكـــتة والسخرية ، فإذا بالقارئ آخر الأمر يضحك ، أو يتأثر على أى صورة من الصورة بهذه الصورة الخيالية التى أثبتها الكاتب فى مقالتـــه .

وقد يعجب القارئ كيف يمكن أن يكون فى النفس البشرية مثل هذه اللفتات واللمحات ! ولكنه لن يلبث حين يتبين أن هذا الذى عجب مـــنه إنما هو جزء من نفسه أو نفوس أصدقائه ، فيضجره أن يكون على هـــذا النحو السخيف ، فيكون هذا الضجر منه أول خطوات الإصلاح المنشود " . [1]

والذى يحدد لنا طريقة كاتب المقالة الأدبية عناصر ثلاثـــة :

١ـــ استخدامه لألفاظ معينة تميزه عن سواه .

٢ـــ اتباعه لطريقة خاصة به فى ترتيب هذه الألفاظ .

٣ـــ معالجـــته لموضوعاته على نحو ينفرد به فى سوق العبارات ، وبالطريقة التى تحدث صداها فى الإحساس وأثرها فى العقل .

كما يستطيع الكاتب الواعي أن يزيد فى كتابته ـــ وبدون تكلف ـــ مـــن الألفاظ المشحونة بالعاطفة ، ويرتبها ترتيبا من شأنه أن يزيد فى تحـــريك الشـــعور ورضا العقل ، فالفرق بين كاتب وكاتب إذن هو فى الألفاظ المختارة ، وفي ترتيبها والطريقة التىَ تساق بها هذه الألفاظ .

---

[1] المصدر السابق ، ص ١٣ .

ويـــبرز لنا فى هذا المجال موقف كاتب المقالة الأدبية من اقتباس الأفكـــار ، ويـــرى فيه الدكتور زكي نجيب محمود رأيا إذ فيقول : " إن الأديـــب إذا برهن مرة على أنه قادر على الكتابة المبتكرة فله الحق بعد ذلـــك فى أن يسطو ما يشاء على إنتاج الآخرين ، ذلك لأن الفكر ملك لكل من يستطيع أن يستخدمه استخداماً حسناً ، وأن يضعه وضعاً ملائماً إن الفكـــر المستعار يظل بغيضاً حتى تعرف ماذا تصنع به وعندئذ يكون ملكـــاً لك ... وهؤلاء هم علماء النفس يجمعون على أن الخيال المبتكر لـــيس لمبتكره فيه إلا فضل التأليف بين عناصر موجودة فعلا ... إن قوة الخـــيال هي أن تربط العلاقة بين شيئين أو مجموعة من الأشياء لم يسبقك إلى ربطها على هذا النحو إنسان " . [١]

ولا نـــتفق مـــع الدكتور زكي نجيب فى إباحة السطو على إنتاج الآخـــرين ، ونوافقه على استخدامـــه استخداماً حسناً وملائماً لموضوعه بعد فهمه وهضمـــه وصوغـــه بأسلوبـــه .

وتعـــود الكاتب على روح عمله وهو الكتابة أمر مرغوب فيه ، فالموســـيقى يعيش فى عالم من الجو الموسيقي ، والرسام يعيش حياته الفنية مـــن خـــلال الألوان والظلال ، كذلك الكاتب ينبغي أن يتمتع ــــ إلى جانب الذهن الواعي والحس الأدبي ــــ بالقدرة على معايشة موضوعات كتابـــته ، والشعور برسالته نحوها حتى يعد من الكتاب المميزين الجديرين بقراءة نتاجهم .

---

[١] المصدر السابق ، ص ١٦٣ ، ١٦٤ .

والصفات التى ينبغي أن تتوافر فى الكاتب الجيد للمقالة الأدبية يمكن أن نوردها فيما يلي :

أولاً : صدق إيمانه بما يكتب ، وحرارة عاطفته لموضوعه ، وخفة روحه فى عرضــه .

ثانــياً : أن يكون متمتعاً بالذوق اللغوي الممتاز فى إلباس المعاني الألفــاظ المناسبة ، ووضع الألفاظ فى أماكنها الملائمة ، وسوق الجمل فى إيقــاع يبعــث فى القارئ الإحساس بالمتعة ، مع حرص الكاتب على ألا يشوه رصانة لغته جفاف ، ولا يلحق أناقته تكلف ، فكاتب المقالة الأدبية الواعــي يــراعي الإدراك الجمــالي عند القارئ ، وإحساسه الفطري به فيحرص على مراعاة ذلك لدى القارئ .

ثالثاً : أن تكون لدى كاتب المقالة الأدبية روح الملاحظة الذكية التى ترصد ما حولها ، ثم تختار ما تراه جديراً بالتعبير عنه من مظاهر الحياة وشئون الكون ومن تجارب الآخرين على حد سواء .

فالكاتب المتمتع بقوة الملاحظة يعمل إذن على توظيفها بذكاء فى كتاباته ويحرص على عادة تيقظ حواسه ، وتنبه ذهنه لمختلف الأنشطة ، وهــذا التــيقظ لحواســه والتنبه فى ذهنه ينبغي ألا يكون مقصوراً على المجال الأدبي وحسب ، بل يشمل مجالات أخرى ، وأشياء متعددة حوله ، لأن التخصــص فى مجال معين ليس معناه حصر الاهتمام بهذا المجال دون سواه بل لعل العكس هو الصواب فى مجالات الدراسات الإنسانية بصفة خاصة .

رابعاً : تنمية ثقافة الكاتب وخاصة بالقراءة بوصفها نشاطاً ينبه القـــدرات الإبداعية لدى الكاتب ، فكل ما يقرأه وإن كان شيئا عارضاً وبعـــيداً عن ميدان تخصصه خليق بأن يتجمع حول نواة من فكرة ولدت فى ذهنه ، فإذا حل وقت الكتابة فسيجد مادة مفيدة ، ورصيداً من الآراء المدخرة والمعلومات المختزنة .

خامساً : ألا يكون صوت كاتب المقالة صدى لأصوات أخرى ، بل يكون تناوله لموضوعاته فى المقالة التناول الحر المستقل ، وطريقته هي الأداء الحـــي المتميز ، نعم له أن يستعين بآراء الآخرين وأفكارهم ولكن ليهضمها ويتمثلها ثم يعرضها فى نتاج جديد مصطبغ بشخصيتـــه .

سادســاً : التريث فى انعمل حتى ينأى الكاتب بقلمه عن تقديم النتاج الفج المتعجل ، فعدم وضوح الفكرة فى ذهن الكاتب ، واضطراب المعـــانى لديه قبل الكتابة ينتج عنه ــ بطبيعة الحال ــ فكراً غير ناضج ، وكتابة مشوشة غير متناسقة .

ســـابعاً : الملاءمـــة بين أسلوب الكاتب وتفكير القراء ، فبعض الكتاب يكتبون ويعبرون عما يجول فى خواطرهم من أحاسيس ، ولكنهم يفعلـــون ذلك وليس فى خلدهم التفكير فى مواءمة هذا النتاج لكثير من القراء الذين هم من طبقات متباينة ، هؤلاء القراء الذين يجدون فى بعض هـــذا النتاج شيئا من الغموض ، أو عدم الفهم لتعبيرات معينة لا يدركها إلا العدد القليل منهم بعد صعوبـــة .

فكاتب المقالة الأدبية الجيدة يحس وجود قرائه معه وهو فى عزلته يكتـــب عـــلى مكتبه ، إنه يكتب وكأنه يتحدث إلى هؤلاء الآلاف من القراء ، يعرف مشكلاتهم ، ولا تغيب عنه أمانيهم ، وليس هذا ما يسميه الـــبعض بالنزول إلى مستوى القراء ، ولكنه المحاولة التى تهدف إلى تجريد الكتابة من التعبيرات الغامضة والتراكيب المستغلقة .[١]

ثامـــناً : الملاءمة بين أسلوب الكاتب وروحه حتى تكون الكلمة المكـــتوبة انعكاســـاً صادقاً لنفسه الصادقة ، فأحيانا تكون روح الكاتب متوهجة بجمال الصدق ، ومع ذلك فإنه عندما يجلس ليعبر عنه تخرج لغته باردة سمجة لا روح فيها برغم محاولاته العسيرة .

وقـــد يكون الكاتب فى حديثه متدفقاً سلساً يعرف كيف يقص حكايـــة ، ويصل إلى هدفـــه بروح واعية فاهمة فإذا جلس ليكتب كان أســـلوبه صعبا أو متحذلقا ، ولعل سبب ذلك أن هذا الكاتب لم يعرف بعد كيف يسيطر على الأداة التى توصل هذه الأفكار إلى القراء ، ومعنى ذلك أن عملية صب أفكاره على الأوراق تمتص كثيراً من نشاطه حتى لا تـــترك له حـــرية التصرف فى قلمه ، وكذلك فإن تحكمه فى التعبير عن أفكاره يحتاج ـــ بجانب التنمية بالثقافـــة ـــ إلى الدربة حتى تصبح طبيعة لديـــه ، وإلى أن يصل الكاتب إلى هذه المرحلة من الضبط فى أسلوبه نجد أن ذلك الأسلوب لا يمثله وقد يباين طبيعة نفسه ، وعلى ذلك فإن أكثر الأســـاليب صفاءً وحلاوة هي الأساليب الرفيعة التى مرت بتلك المراحل

---

[١] انظر د. محمد كامل جمعة : الأسلوب ، ص ٧٠ ، ٧١ .

حــتى لتــبدو من سماحتها وطبيعتها كأنها الشئ اللين اليسير ، مثل هذا الأســلوب الرفــيع هو الجزاء الحق للجهد الطويل فى التغلب على تلك العناصر غير المناسبة فى الأسلوب . [1]

تاسعاً : مراعاة الكاتب لجانبي الاقتصاد فى الكتابة مع الوضوح فــيها ، ويتحقق هذان العنصران (الاقتصاد والوضوح) بعدم الإسراف فى استقصــاء جوانب الموضوع وجزيئاته بالتفصيل كما سبق أن ذكرنا ، وبإيــراد الكلمات المفهومة والتراكيب النحوية السليمة حتى لا يستنفد جهــد القارئ فى تفسير الكلمات ، وتوضيح التراكيب النحوية ، فينبغي عــلى الكاتب إذن أن يوفر للقارئ هذا الجهد ، فبدلاً من أن يضيعه فى فهم كلمة غامضة المعنى ، أو إدراك تركيب مستغلق ينفق القارئ جهده فيما هو أجدى وأكثر منفعة ومتعــة .

غــير أن هناك بعض الأفكار التى يكتنفها الغموض ، ولا يسهل اســتيعاب مدلولاتهــا ، كما أن فى الحياة أسراراً لا يسهل التأدي إليها ، والوقوف على مكنونها إلا بمشقة وجهــد .

وقــد تعلمنا أن ما نحصل عليه رخيصا فى مجال الأدب وفى غيره من أمور الحياة لا نعتز به ولا نقدره حق قدره ، وفى أغلب الأحيان تكون قيمة الفكرة فيما نبذله من إحاطــة بها وفهم بها .

هــذا صحيح ولكنه لا ينبغي أن يكون حجة تؤخذ على حساب

---

[1] انظر : المصدر السابق ، ص ٧١ ، ٧٢ .

عنصري الاقتصاد والوضوح فى المقالـــة الأدبيـــة .

ومن ناحية أخرى نجد فى حالات كثير أن مفهوم الاقتصاد ليس فى التقلـــيل من جهد القارئ وحسب ، بل فى حثه على أن يضاعف من نشاطه فى تلقي ما يقدمه له الكاتب من لغة تزيد من شهيته للقراءة ، ومن أسلوب يمتعه ويرضيه .

وهذا النوع من الاقتصاد فى الكتابة يتطلب مهارة الكاتب لكي يؤثـــر الكـــلمة الموقظة الموحية ، ويفضل الصورة الحية الدالة ، ويعرض الأفكار فى سياق محبب للقارئ .

ولـــيس مـــن اليسير أن يضع الباحث إرشادات أو قواعد معينة ليتبعها كتب المقالة الأدبية فى هذا المجال ، لأن ذلك يتوقف إلى حد كبير على ثقافة الكاتب وذوقه وذكائه ، والذى يمكن أن يقال فى هذا المقام إن هذا شئ يحتاج إلى الدربة ليتعلم أن كلمة توحي بمعان ، وأن لفظاً واحداً يبعـــث فى خـــيال القـــارئ صوراً مؤثرة يأخذ بعضها بيد بعض فى يسر وسهولة .[1]

ونســـتطيع أن نقـــول بعد هذا العرض لخصائص المقالة الأدبية وصـــفات كاتبها إن كثيراً من كتاب المقالة فى أدبنا الحديث تتحقق فيهم الصفات السابقة .

---

[1] انظر المصدر السابق ، ص ٧٢ ، ٧٣ .

الفصل الثاني

نشأة المقالة وتطورها

المقالــة الأدبية والتراث العربي (*)

نشـــأت المقالة الأدبية الحديثة فى أوربا فى القرن السادس عشر المــيلادي على يد الكاتب الفرنسي ميشيل دى مونتين Michel De Mantaigne (١٥٣٣ ــ ١٥٩٢م) فقد كتب عدداً من الفصول أطلــق علـــيه اســـم Essais بمعـــنى " محاولات " أو " تجارب " كأنه كـــان يحـــس أنـــه يكتب فناً جديدا من فنون الأدب على سبيل المحاولة أو التجربة .

وانتقلت هذه الكلمة إلى اللغة الإنجليزية ، وشاع استعمالها بمعنى المقالة الأدبية ، وسرعان ما ظهرت ترجمة إنجليزية فى لندن لكتاب مونتين بالفرنســـية قام بها فلوريو Florio سنة ١٦٠٣م ، وتأثر بالكتاب كبار الأدبـــاء الإنجليز ، ومن أبرزهم فرنسيس باكون Francis Bacon (١٥٦١ ــ ١٦٢٦م) ثم وجـــدت المقالة فى الصحافة المجال المناسب لتأخذ مكانها ومكانتها التى حظيت بها بين ألوان الأدب الأخرى .

وأهم ما يميز مقالات مونتين كثرة الشواهد التى كان يستقيها من اللاتينـــية ، والصـــراحة الجريئة فى عرض شئونه الخاصة ، ونغمة الشك

(*) راجع د/ عطاء كفافي : المقالة الأدبية ، ص ٢٥ وما بعدها .

الهـادئ الـتى تشيع فى كتاباته ، يمكن أن تدرج مقالاته ضمن المقالات الذاتـية ، أما مقالات باكون ، فهي مجوعة من الأفكار والخواطر التى لا يعـنى فيها بالترتيب ، مع التركيز الشديد فى كتاباته ، ويمكن أن تصنف مقالاته فى إطار المقالات الموضوعية .

ولـندع عباس العقاد يقدم لنا موازنة واعية بين هذين الكاتبين بوصـفهما أبرز كتاب المقالة الأدبية فى الغرب فيقول : " مونتين فياض مسترسل ، كثير الأغراض ، متعدد الملامح الشخصية ، قريب فى أسلوبه إلى أسـاليب المقاليين المحدثين ، ولكن باكون ـ على دأبه فى جميع حالاته ـ كـان أقـرب إلى الاحـتجاز والتركـيز . ودسومة المادة الفكرية ، واجتـناب الألـوان الشخصـية ، والملامح الخاصة التى تنم عليه وعلى الجانب الإنساني فيه " . [1]

ولا نـود التوسع فى الحديث عن نشأة المقالة فى الغرب وتطورها وأعلامها هناك ، فقد تكلفت أعمال علمية أخرى بهذا الجانب . [2]

---

(١) عباس العقاد : فرنسيس باكون ، ص ٣٤٩ .

(٢) انظر على سبيل المثال :

ـ عباس العقاد فى المصدر السابق عن فرنسيس باكون .

ـ د. محمـد كـامل جمعة : مونتاني من مقالاته الأدبية ، القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٨٥م .

ـ نبـيه صـقر : مونـتاني : حـياته ـ فلسفته ـ منتخبات ، بيروت ، منشورات عويدات ، ١٩٦١، ط أولى .

ـ إيليا نعمان حكيم : بحث عن كتاب المقالات لمونتين ، سلسلة تراث =

وبعد الإشارة السريعة إلى نشأة المقالة الحديثة فى الآداب الغربية نتساءل هل يوجد شبيه للمقالة الأدبية الحديثة فى تراثنا العربي ؟ . [١]

والإجابة عن هذا التساؤل بالإيجاب ، فهناك ألوان أدبية فى ذلك الـــتراث لا تختلف كثيراً عن المقالة الأدبية بمفهومها الحديث وإن كانت تتسم بالسمات الأسلوبية للعصور التى كتبت فيها ، وتحمل أسماء أخرى مثل " الرسالة " أو " الفصل " .

بـــل يذهب عباس العقاد إلى أبعد من ذلك فيرى أن " الفصل " كما عرفه العرب هو أقدم رائد للمقالة فى الآداب العالمية ، لأنه ظهر قبل ظهور مقالات مونتين الذى يعد إمام هذا الفن بين الأوربيين . [٢]

= الإنسانية ، القاهرة ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، المجلد الخامس الجزءان الثاني والثالث ، ٥ فبراير ١٩٦٧ ، ٥ من مارس ١٩٦٧ .

ــ د. محمد عوض محمد : محاضرات عن فن المقالة الأدبية ، من ص ٥٧ إلى ص ٧٢ .

ــ د. محمد يوسف نجم : فن المقالة ، من ص ٥ إلى ص ١٦ ، ومن ص ٢٥ إلى ص ٦٣ .

ــ د . أحمد أمين ، و د. زكي نجيب محمود : قصة الأدب فى العالم ، الجزء الثاني ، من ص ٦١ إلى ٦٧ ، ومن ص ٢٣١ إلى ص ٢٣٦ .

(١) لم نقل إن لها جذوراً فى التراث العربي ، لأن كتاب المقالة الحديثة من أدبائنا حـــاكوا فى كتابتهم لها المقالة فى الأدب الغربي ، ولم يريدوا بعث لون أدبي قديم .

(٢) انظر : عباس العقاد : يسألونك ، ص ٥ .

وسنقتصر على إيراد أربعة نماذج من هذه " الفصول " و " الرسائل " كشواهد على أنها لا تختلف كثيراً عن المقالة الأدبية الحديثة بالخصائص التى تحدثنا عنها فيما سبق .

يرسم لنا النموذج الأول ـــ وهو لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (١٥٠ ـــ ٢٥٥هـ) ـــ صورة للبخل ممثلة فى سلوك أصحابه وحرصهم الشديد على ما فى أيديهم ، وذلك فى أسلوب أدبي رائع ، وعرض فكاهي شيق فيقول : " حديث سمعناه على وجه الدهر . زعموا أن رجلاً قد بلغ فى البخل غايته ، وصار إماما ، وأنه كان إذا صار فى يده الدرهم خاطبه وناجاه وفداه واستبطأه ، وكان مما يقوله له : (كم من أرض قد قطعت ، وكم من كيس قد فارقت ، وكم من خامل رفعت ، ومن رفيع قد أخملت ، لك عندي أن لا تعرى ولا تضحى) ، ثم يلقيه فى كيسه ويقول له : (اسكن على اسم الله فى مكان لا تهان ولا تذل ولا تزعج منه) وأنه لم يدخل فيه درهما قط فأخرجه .

وأن أهله ألحوا عليه فى شهوة ، وأكثروا عليه فى إنفاق درهم ، فدافعهم ما أمكن ذلك ، ثم حمل درهما فقط ، فبيناه ذاهب إذ رأى حواء قد أرسل على نفسه أفعى لدرهم يأخذه ، فقال فى نفسه : أتلف شيئا تبذل فيه النفس بأكلة أو شربة ؟ والله ما هذا إلا موعظة لي من الله ، فرجع إلى أهله ورد الدرهم إلى كيسه ، فكان أهله منه فى بلاء ، وكانوا يتمنون موته والخلاص منه بالموت والحياة بدونه .

فـــلما مات وظنوا أنهم قد استراحوا منه قدم ابنه ، فاستولى على مالـــه وداره ثم قال : (ما كان إدم أبى ؟ فإن أكثر الفساد إنما يكون فى الإدام) ، قالوا : (كان يتأدم بجبنة عنده ؟) ، قال : أرونيها ، فإذا فيها حـــز كالجدول من أثر مسح اللقمة ، قال ما هذه الحفرة ؟ قالوا : (كان لا يقطـــع الجـــبن ، وإنما كان يمسح على ظهره فيحفر كما ترى) ، قال (فهـــذا أهلكـــني ، وبهذا أقعدني هذا المقعد ، لو علمت ذلك ما صليت عليه) ، قالوا : (فأنت كيف تريد أن تصنع ؟) قال : (أضعها من بعيد فأشير إليها باللقمة) . [1]

ويعـــرض الـــنموذج الثاني ـــ وهو للجاحظ أيضا ـــ رسالة فى الحنين إلى الأوطان ترينا نظرته لهذا الجانب الإنساني فى حياة الناس ، كما تكشـــف عـــن ثقافته الواسعة ، وفهمه الصحيح للطبيعة البشرية ، يقول الجـــاحظ : " إن لكـــل شئ من العلم ، ونوع من الحكمة ، وصنف من الأدب سببا يدعو إلى تأليف ما كان فيه شتتاً ، ومعنى يحدو على جمع ما كـــان مـــنه متفرقا ، ومتى أغفل حملة الأدب وأهل المعرفة تمييز الأخبار واســـتنباط الآثار ، وضم كل جوهر نفيس إلى شكله ، وتأليف كل نادر مـــن الحكمـــة إلى مثله بطلت الحكمة ، وضاع العمل ، وأميت الأدب ، ودرس واستتر كل نادر .

---

[1] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : البخلاء ، تحقيق وتعليق طـــه الحاجرى ، القاهرة ، دار الكاتب المصري ، ١٩٤٨ ، ص ١١٩ ، ١٢٠ .

ولولا تقييد العلماء خواطرهم على الدهر ، ونقرهم آثار الأوائل في الصخر لبطل أول العلم وضاع آخره ، ولذلك قيل : لا يزال الناس بخير ما بقي الأول يتعلم منه الآخر .

وإن السبب الذى بعث على جمع نتف من أخبار العرب فى حنينها إلى أوطانها ، وشوقها إلى تربها وبلدانها ، ووصفها فى أشعارها توقد النار فى أكبادها أنى فاوضت بعض من انتقل من الملوك فى ذكر الديار ، والنزاع إلى الأوطان ، فسمعته يذكر أنه اغترب من بلده إلى آخر أمهد من وطنه ، واعمر من مكانه وأخصب من جنابه [1] ، ولم يزل عظيم الشأن جليل السلطان ، تدين له من عشائر العرب سادتها وفتيانها ، ومن شعوب العجم أنجادها وشجعانها ، يقود الجيوش ، ويسوس الحروب ، وليس ببابه إلا راغب إليه أو راهب منه ، فكان إذا ذكر التربة والوطن حن إليه حنين الإبل إلى أعطانها ، وكان كما قال الشاعر :

إذا ما ذكرت الثغر فاضت مدامعي	وأضحى فؤادي نهبة الهماهم [2]
حنيناً إلى أرض بها أخضر شاربي	وحلت بها عني عقود التمائم
وألطف قوم بالفتى أهل أرضه	وأرعاهم للمرء حق التقادم

وكما قال الأخر :

(١) جنابه : ناحيته ، يقال فلان خصيب الجناب أى سخي .

(٢) الهمهمة : الكلام الخفي ، والمراد الهواجس .

يقــر بعيني أن أرى من مكانه ذرى عقدات[1] الأبرق المتقاود [2]

وأن أرد المــاء الذى شربت به سليمى وقدمل السرى كل واخد[3]

وألصــق أحشــائي ببرد ترابها وإن كــان مخلوطاً بسم الأوساد [4]

فقلت :

لــئن قلت ذلك لقد قالت العجم : من علامة الرشد أن تكون الــنفس إلى مولدهــا مشتاقة ، وإلى مسقط رأسها تواقة ، وقالت الهند : حرمة بلدك عليك مثل حرمة أبويك ، لأن غذاءك منهما وغذاءهما منه .

وقــال آخر : احفظ بلداً رشحك [5] غذاؤه ، وارع حمى أكنك فــناؤه ، وأولى البلدان بصبابتك إليه بلد رضعت ماءه،وطعمت غذاءه، وكان يقال : أرض الرجل ظئره [6] ، وداره مهده ، والغريب النائي عن بلده المتنحى عن أهله كالثور الناد [7] عن وطنه الذى هو لكل رام قنيصة

---

(١) العقد : بفتح الكسر : المتراكم من الرمل ، واحدته عقدة .

(٢) المتقاود : المستطيل من الأرض .

(٣) الواخد بالخاء المعجمة : عنى به من وخد به بعيره ، أى أسرع ووسع الخطو .

(٤) الأوساد : العظيم من الحيات وفيه سواد .

(٥) الترشيح : التربية والتقوية .

(٦) الظئر : المرضعة لغير ولدها ، ويطلق على زوجها . والظئرة : الدعامة تبنى إلى جنب الحائط .

(٧) ند يند ندودا : شرد وذهب على وجهه .

وقـــال آخـــر : الكـــريم يحن إلى جنابه كما يحن الأسد إلى غابه .... إلخ .[1]

ونلحظ فى هذين النموذجين سمات الجاحظ فى كتاباته من رهافة حـــس ، ونفـــاذ بصـــيرة ، وذكـــاء فى رصد مظاهر الحياة فى مجتمعه ، واســـتيعاب لعلوم عصره ، وبراعة فى عرض هذا كله بأسلوب مشرق ، وإيقاعات جميلة ، وعبارات متوازنة ، فلا غرابة إذن فى أن تكون كتابات الجاحظ نموذجاً رائعاً للكتابات النثرية على مر العصور ، ففيها ـــ فضلا عما أشرنا إليه ـــ من الثقافة المنوعة ، والنزعة الإنسانية ، والدعابة المحببة ما يرضى العقل ويمتع النفس .

ويقدم النموذج الثالث ـــ وهو لأبى حيان التوحيدي (٣١٠ ـــ ٤١٤هـــ) ـــ رؤية لموضوع من الموضوعات التى تشغل الإنسان فى أى زمـــان كان ، وفى أى مكان حل ألا وهو موضوع الصداقة الذى عنى به أبو حيان وأكثر من الكتابـــة فيـــه .

يقـــول أبـــو حـــيان فى إحـــدى الرسائل التى أوردها فى كتابه (الصـــداقة والصـــديق) : " الصـــداقة ـــ أطـــال الله مدتك ـــ التى وكدهـــا [2] الله بيننا بالدين أولا ، ثم بالجوار ثانياً ، ثم بالصناعة ثالثاً ، ثم

---

(١) أبـــو عـــثمان عمـــرو بـــن بحر الجاحظ : رسائل الجاحظ ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، الجزء الثاني ، القاهرة ، مكتبة الخانجي،١٩٦٤م ص ٣٨٣ ـــ ٣٨٦ .

(٢) وكدها : وثقهـــا .

بالمالحـــة رابعـــاً [١] ، ثم بالمنشـــأ خامســـاً ، ثم بالمعاقرة [٢] سادساً ، ثم بالتجربة سابعا ثم بالألفة ثامنا ، ثم بالميلاد تاسعاً ، ثم بانتظام هذه كلها [٣] عاشـــراً ، تتقاضـــاني [٤] لـــك حقوقاً أنت عن التقصير فيها أغنى ، وأنا بالإعفاء منها أملى . [٥]

وإذا كـــنا عـــلى هذا السياح [٦] دارجين [٧] ، وفى هذه الحومة داخلـــين ، وعـــنها خارجين ، فليس لحاسد إلينا سبيل ، ولا لمتكلف [٨] علينا دليل .

والله إنـــك لـــتذكر واحداً كذكرك عنقاً يزيد على عنق العنبر ، ويوصف فأرى لوصفك مالا يراه أحد من البشر لأحد من البشر ، وربما حلمت بك فى الرؤيا فيكون ذلك قوتي طول يومي ، ومن كان هذا نعته

---

(١) المماحة : المؤاكلة والمراضعة .

(٢) المعاقرة : المراد الملازمة .

(٣) أى باجتماع هذه الخلال جميعها وتآلفها .

(٤) تتقاضاني : تطلب من وتوجب على .

(٥) إن تلك الوشائج العشر التى ذكرت توجب على حقوقاً لك ، إن أنا قصرت فيها فلن يضيرك ذلك التقصير لأنك غنى عنها ، وإن أنت أعفيتني منها فإن ذلك يؤدي إلى السقوط والانحدار .

(٦) السياح : المتسع .

(٧) دارجين : ماشين .

(٨) المتكلف : المراد الواقع فيما لا يعنيه .

مـــن أجلـــك فكـــيف يـــنمق بالقـــلم شوقه إليك ؟ وكيف يذكر ما يختصه لك [١] ؟ وكيف يجهز ما يشتمل عليه من خالصته ومحبته إليك ؟ .

وقد يقصر اللفظ للطف المعنى ، كما يطول المعنى لقصر اللفظ ، والإخاء إذا قدم استحصدت مرائره [٢] ، واستوسقت سوائره [٣] ، وعند ذلـــك يكون الوصف باللسان تكلفا ، والتكلف للوصف تعسفاً ، وقد حضر لعبدك ولدي ختان أنت أولى الناس فيه بالقيام والقعود ، بين الناي والعـــود ، فـــإن رأيـــت أن تبدر [٤] إلى ذلك ــ غداة غد ــ مكافحاً للشمس عند الطلوع ، غير عائج إلى غيره [٥] فعلت إن شاء الله " [٦] .

ويقـــف بنا النموذج الرابع ــ وهو لأبي حيان أيضا ــ على نمط من الحياة الاجتماعية فى عصره ، ولون من ألوان الحياة المترفة التى كانت تعيشها بعض الطبقات آنذاك .

---

(١) ما يختصه لك : ما يخصك به من حب .

(٢) استحصدت مرائره : استحكمت .

(٣) استوسقت سوائره : استقر سلطانه .

(٤) تبدر : تبادر وتسرع .

(٥) غير عائج إلى غيره : غير مقيم بغيره .

(٦) أبو حيان التوحيدي : الصداقة والصديق ، شرح وتعليق علي متولي صلاح ، القاهرة ، مكتبة الآداب بالجماميز ، ١٩٧٢م ، ص ٩٠ ، ٩١ .

يقـــول أبو حيان فى رسالة عن الطبـــاخ : " كتبت ـــ أعزك الله ـــ مـــن المحـــل الجديـــب ، والبلد القفر ، الذى أنا به غريب عن سلامة الجوارح والحواس ، إلا حاسة التمييز فإنها أوضحت لما اخترت المقام بهذه المفازة ، وأحمد الله ـــ عز وجل ـــ كثيراً على نعمه ومحنه .

ومـــن مصائبي ـــ أعاذك الله عز وجل من كل مصيبة ، وجنبك كـــل مـــلمة ـــ أن نوحاً طباخنا توفى فأمرضتني أذيته ، وآلمتني فجيعته ، وكان عنوان النعمة ، وترجمان المروءة ، وواسطة القلادة ، فلهفي عليه ! فلقد كان قوام جسمي ، وزيادة شهوتي ، وممتع زواري وأضيافى ، أحذق أهـــل صـــناعته ، وأبيـــنهم فضلاً ، وأرهفهم سكيناً ، وأعدلهم تقطيعاً ، وأذكـــاهم ناراً ، وأطيبهم يداً ، ما أكاد أقترح عليه شيئا إلا وجدته قد ســـبقني إليه ، معب للموائد ، ملك للثرائد ، مع كل حار وبارد ، كأن مائدتـــه ريـــاض مزخرفة ، أو برود مفوفة [1] ، مرتب للألوان ، منظف للخوان ، لا يجمع بين شكلين ، ولا يوالي بين طعامين ، ولا يغرف اللون إلا وضـــده ، ينضج الشواء ، ويحكم الحلواء ، ويخالف بين طعام الغذاء والعشاء ، يكتفي باللحظة ، ويفهم بالإشارة ، ويسبق إلى الإرادة ، فكأنه مطلـــع على الضمير من الزائر والمزور ، فأودى فقيداً حميداً ، ليس مثله موجوداً طريفاً ولا تليداً ، فما ظنك ـــ أعزك الله ـــ بمبتل تجمع عليه فقد مـــثل هـــذه العقـــدة النفسية ، وتطاول الأيام بهذه الناحية المملحة [2]

---

(١) برد مفوف : رقيق مخطط .

(٢) المملحة : المجدبة .

الموحشـــة ، والله ـــ عـــز وجل ـــ لا أتقى إلا الشماتة ، ولست فى ثغر فاحـــتمل عاجل الضنك ، ولا بإزاء عدو فيشغلني مقارعته ، والظفر به ، والـــنكاية فيه عن ملاذ الطعام ، وأسأل الله ـــ عز وجل ـــ الكريم المنان أن يخـــتار لي ، ويعجل مما أنا فيه راحتي ، ويبدلني خيراً منه زكاة واقرب رحما بجوده وكرمـــه .

وكتابك ـــ أعزك الله ـــ إذا ورد على نفي عنى هذه الوحشة ، فـــإن رأيت ـــ جعلني الله فداك ـــ أن تهدى لى براً وصلة ووصلة وأنسة فعلت إن شاء الله تعالى " . [1]

ونـــرى أن أسلوب أبى حيان فى النموذجين السابقين يعكس ـــ كمـــا هو الشأن فى كتاباته الأخرى ـــ موهبة نادرة فى الكتابة ، وعاطفة جياشة ، ومزيجاً من الفكر والخيال ، والتجربة والإحساس ، وقلما سيالاً يفـــيض بالمعجـــب مـــن القـــول ، والجميل من الصور ، والطريف من الموضـــوعات على نحو يحمل قارئه على الاستزادة من مطالعة ما كتب ، والرغبة فى صحبته الممتعة .

وهذا كله من مقومات المقـــالة الأدبية الجيـــدة .

---

(١) أبـــو حـــيان التوحيدي : البصائر والذخائر ، المجلد الأول ، تحقيق وتعليق الدكتور إبراهيم الكيلاني ، دمشق ، مكتبة أطلس ، ١٩٦٤ ، ص ٤٤٤ ـــ ٤٤٦ .

المقال فى الأدب العربي الحديث (*)

أدركنا أن العرب لم يعرفوا المقال بمفهومه الحديث ، وإنما عرفوا قالبا قريبا منه على شكل رسالة ، تناولت بعض الموضوعات الأدبية والاجتماعية والسياسية ، وخاطبوا بها طبقة من المثقفين فى زمانهم ، أما المقال فى وصفه الفني اليوم ، فقد ولد مع الصحافة فى القرن التاسع عشر ونشأ فى ظلها ، وترعرع فى أحضانها ، بعد أن فرضته ضرورات الحياة ، ومتطلبات العصر ، يخاطب جموع الأمة دون تعمق ، بحيث تبدو فيه البساطة والجمال الفكري ، ومن ثم أصبح " المقال يتناول موضوعا يتصل بقضية حية فى صورة محددة مركزة ، ويتجه إلى الجماعة ، ويخضع فى أسلوبه لمقتضيات الصحافة التى نشأ فيها هذا الفن .

ولما كان المقال مرتبطاً بالصحافة ، وعلى صفحاتها تطور ، وبأقلام كتابها دبج ، كان لزاماً علينا أن نقف على الأطوار التى مر بها حتى أصبح فناً أدبياً له جماله وجلاله ، وسحره وتأثيره .

الطور الأول :

نعني به الفترة التى نشأ المقال خلالها فى ظل الصحف الرسمية التى أصدرتها الدولة ، أو أعانت على نشرها منذ عهد محمد علي حتى قيام الثورة العرابية ، فى هذا الطور سيطر السجع الغث ، والتكلف الزائف

(*) راجع د / السيد مرسي أبو ذكرى : المقال وتطوره فى الأدب المعاصر ص ٤٧ وما بعدها ، دار المعارف ١٩٨١ ـــ ١٩٨٢م..

عـــلى أقلام الكتاب ، وسادت المحسنات البديعية للمقالات : السياسية والاجتماعـــية والتعليمـــية والأخبار الداخلية والخارجية ، ولذا لم ينجح المقـــال فى عـــلاج المشـــكلات التى عانى الشعب منها ، ولم يلفت نظر الجمهور لما يدور حوله من قضايا وأحداث .

وأبـــرز كتاب هذا الطور رفاعة رافع الطهطاوي ، وعبد الله أبو السـعود ، ومحمـــد أنيس أبو السعود ، وميخائيل عبد السيد ، وسليم عـــنموري ، نشـــر هؤلاء مقالاتهم فى الوقائع المصرية ١٨٢٨ ، ووادي النـــيل ١٨٦٩ ، وروضـــة الأخبار ١٨٧٥ ، والوطن ١٨٧٧ ، ومرآة الشرق ١٨٧٩ على التوالي .

ولكـــي تـــدرك سيطرة الأسلوب المسجوع على أقلام الكتاب خلال هذا الطور ، أقرأ وصفا لحادث تاريخي ، جاء بأحد أعداد الوقائع ١٨٦٥ : (أن أناسا من اللئام ، سفلة الأنام ، ارتضوا بالخزى وارتكاب الأثـــام ، فاســـتبدلوا الاشتغال بأنواع الكسب الحلال بالاشتغال بالحرام والعـــار ، والـــدوران فى القـــرى والأمصار ، وكلما صادفوا أناسا على فطرتهم وحسن نياتهم ، تحيلوا على اصطيادهم بتحيلاتهم ، وعملوا طرق الخديعـــة والختل فى سلب عقولهم ، بإحدى المغيبات المشهورة بين الناس بالتاتورة ، فيضعونها فى شئ من المأكولات ، ويطعمونها أصحاب العقول الناقصة ، بدون شعور ، وبعد الحصول على ما معهم يفرون) .

وهكـــذا كان السجع يسيطر على الخبر المترجم سياسيا أو غير سياسي ، ولا يخلو من الكلمات الأعجميـــة .

الطور الثاني :

نعني به الفترة التي شارك السوريون المصريون فيها ، مع بداية الثورة الاجتماعية والفكرية المتأثرة بدعوة جمال الدين الأفغاني وتلاميذه إلى إصلاح الحياة الاجتماعية والسياسية والدينية ، وارتبطت بنشأة الحزب الوطني الأول ١٨٧٩ ، والأحداث التي مهدت للثورة العرابية ، وسرت بدورها إلى عالم الفكر والثقافة والعلم والأدب .

وأبرز كتاب هذا الطور أديب اسحق ١٨٨٥ ، وعبد الله فكري ١٨٨٩ ، وعلي مبارك ١٨٩٣ ، وعبد الله النديم ١٨٩٦ ، وجمال الدين الأفغاني ١٨٩٧ ، وعبد الرحمن الكواكبي ١٩٠٢ ، ومحمد عبده ١٩٠٦ ، وقاسم أمين ١٩٠٨ ، كتب هؤلاء في الأهرام ١٨٧٥ ، ومصر ١٨٧٧ ، والتجارة ١٨٧٨ ، والفلاح والحقوق وغيرهما من الصحف التي برزت خلال هذا الطور .

عالج كتاب هذا الطور شئون السياسة ، وأحوال المجتمع ، وإصلاح التعليم ، وفي هذا الطور نشأ المقال بألوانه الثلاثة : السياسي على يد أديب اسحق ، والاجتماعي على يد عبد الرحمن الكواكبي ، والديني على يد الشيخ محمد عبده ، وتناول المقال المشكلات المتصلة بالشعب ، وبدأ يتحلل من قيود الأسلوب ، وكان لهذا التحول وانتقال الكتابة من الفردية إلى الموضوعية ، أثره البالغ في تعدد الأغراض ، وجودة الأساليب .

وهــذا نموذج من مقالات عبد الله النديم التى اهتم فيها بتثقيف الشعب ، ومعالجة قضايا وطنه السياسية ، ومشاكله الاجتماعية ، وتحرر خلالــه مـــن السجع ولفائفه ، والبديع وزخارفه ، يقول النديم فى مقاله " عربي تفرنـــج " :

(ولـــد لبعض الفلاحين ولد ، فسماه زعيط ، وتركه يلعب فى التراب وينام فى الوحل ، حتى صار يقدر على تسريح الجاموسة ، فسرحه مع البهائم إلى الغيط ، يسوق الساقية ويحول الماء ، وكان يعطيه كل يوم أربـــع حـــندويلات ، وأربعة أمخاخ بصل ، وفى العيد كان يقدم اليخنى ليمـــنعه يأكل اللحم بالبصل ، وبينما هو يسوق الساقية ، وأبوه جالس عـــنده ، مر بهما أحد التجار ، فقال لأبيه : لو أرسلت ابنك إلى المدرسة ليتعـــلم ويصـــير إنســـانا ، فأخذه وسلمه إلى المدرسة ، فلما أتم العلوم الابتدائـــية أرسلته الحكومة إلى أوربا ، وبعد أربع سنين ركب الوابور ، وجـــاء عـــائد إلى بلاده ، فمن فرح أبيه حضر إلى الإسكندرية ، ووقف بمصيف الجمرك ينتظره ، فلما خرج من " الفلوكة " قرب أبوه ليحتضنه ويقبله ، شأن الوالد المحب لولده ، فدفعه فى صدره) .

يسخر النديم من الفتى الذى ملأه الغرور والكبر ، فلم يقبل أن يحتضنه والده ، ونسى تقاليد بلاده ، كل ذلك بأسلوب ساحر ، يسوده الحوار ، وتشيع العامية فيه كي يفهم أهل الريف الذين يخاطبهم .

وهكـــذا أثمـــرت جهود بعض الكتاب فى العودة إلى التوفيق بين الأســـاليب الموروثة ، وحاجات العصر الذى أطلوا منه على عالم جديد ،

فأنشئوا المقالات بلغة أصلح للكتابة الصحفية ، مؤثرين بلاغة العبارة ، واختيار اللفظ وسلامة التركيب .

الطور الثالث :

نعني به الفترة التى واكبت النضج السياسي ، والوعي الاجتماعي خلال الربع الأول من هذا القرن ، نتيجة لتأجج الدوافع الوطنية ، وغضب الأمة للاحتلال الإنجليزي ، وسيطرة الأتراك ، ورغبة الجميع فى تحرير الوطن من الأجانب ، أضف إلى هذا ما وقع من أحداث وشب من صراعات ، وظهر من اتجاهات ، واحتدم من معارك بين الكتاب حول الثقافة الأوربية التى سادت البلاد ، وحرية المرأة وتثقيفها ، وغير ذلك من الموضوعات التى أدت مناقشتها إلى التماس حل لها ، وبجانب هذا كله ظهرت أحزاب ثلاثة ــ مما كان له أثره البالغ فى نمو المقال وتطوره ــ هي :

١ــ الحزب الوطني ١٩٠٦ بريادة مصطفى كامل ، وصحيفته ((اللواء)) .

٢ــ حزب الأمة ١٩٠٧ بزعامة أحمد لطفي السيد ، وصحيفته ((الجريدة)) .

٣ــ حزب الإصلاح ١٩٠٧ بإشراف علي يوسف ، وصحيفته ((المؤيد)) .

وأبرز كتاب هذا الطور مصطفى كامل ١٩٠٨ ، وأحمد مفتاح ١٩١١ ، وعلي يوسف ١٩١٣ ، وجورجي زيدان ١٩١٤ ، وفتحي

زعلوك ١٩١٤ ، وحمزة فتح الله ١٩١٨ ، وملك حفني ناصف ١٩١٨ وحفـني ناصـف ١٩١٩ ، وعـدلي يكن ١٩٢١ ، ومصطفى لطفي المنفلوطي ١٩٢٤ ، وأحمد لطفي السيد ١٩٦٣ .

كـان مصـطفى كامل يمثل قلب الأمة الخافق ، ألهبت مقالاته السياسـية الـنفوس ، وأحجبـت المشاعر ، جاء فى مقال له : " ليقل المصـريون للأمـة الإنجلـيزية : أنه إذا كان ساستها قد نسوا أو تناسوا عهودهـم ووعودهـم ، فإنـنا معاشر المصريين لم ننسها ، ليقولوا بحرية وصـراحة واستقلال كل ما يعتقدون ، وما به يشعرون حتى تعلم الأمة كـلها أنهـا أحياء يناضلون عن حقوقهم ، ولا يقبلون الذلة والعار ، إن ضياع الاستقلال مصيبة على المصريين ، ولكن هناك مصيبة أخرى وهي وجود أفراد أدنياء ، اتجروا بالوطنية حبنا ، ثم لما يئسوا من نيل الاستقلال العاجل والربح القريب ، انقلبوا إلى الاحتلال يعبدونه يتملقونه ، هؤلاء هـم " المصـيبة الكبرى " فى مصر ، وبهم يستدل أعداؤنا ، والمبغضون لأمتنا على موت العواطف فينـا .... " .

أما أحمد لطفي السيد فكان يمثل الجانب العملي ، فنراه يعمد إلى توضيح الطريق أمام من يريد أن يتخلص من مشكلة الاستعمار فيقول : " يجـب علينـا أن نثبـت ــ لا لغيرنـا فقط بل لأنفسنا ــ أننا أحرار مـتحللون مـن كـل عقال يربطنا عن نيل الحرية ، بل أسرى السلطة السياسية ، أسرى السلطة المالية ، فإذا أعوزنا أن نسترد حريتنا السياسية فما الذى يمنعنا من العمل لاسترداد حريتنا المالية ، وهي لا يستهان بها ، أن تحريرنا المالي مسألة سهلة التقرير ، ولكنها صعبة التحقيق جدا ، معقد

الطـــرائق إلا إذا شفيت نفوسنا من أوهام الأحلام ، وصحت عزائمنا فى حـــلها ، كـــل عمـــل لحـــلها ينفع ، ولكن أين الذين يريدون الكسب الشخصـــي ، وكسب الحرية فى آن واحد ، يعملون أفرادا إذا لم يتفقوا عـــلى العمـــل جماعات للتسلح ، للمزاحمة المالية والمعارك التجارية ، كل عمـــل فى هـــذا السبيل نافع ، قليله وكثيره ، ينفع ذلك تأليف النقابات الزراعـــية ، ينفع لذلك إنشاء بنك زراعي أهلي " بمعنى الكلمة " ينفع فى ذلـــك أن كـــل امرئ منا ساعدته الظروف ، فصار عنده مال احتياطي " وهـــذا الصنف عندنا غير قليل " أن يشترى بماله الاحتياطي سهما من أســـهم الدين المصري .. ينفع فى هذا السبيل أن تعضد المحاصيل المصرية بأن نشتريها تفضيلاً لها على سواها " .

أمـــا الشـــيخ عـــلي يوسف فقد كان يمثل عقل الأمة ، يحلل فى مقالاتـــه كـــل فكـــرة ، ويقـــرع الحجة بالأخرى ، ويردد على المستر " روزفلت " حين قدم مصر وأيد الاستعمار فيقول : " قد كلف المستر روزفلـــت نفســـه أن يحفـــظ مثلاً عربيا وهو " إن الله مع الصابرين إذا صـــبروا " [1] ليـــنطق بهـــا عربية ، ظانا أنه بعد ذلك يتسنى له أن يصب الرصـــاص زائغا فى أدمغة المصريين فيجمد ، ولكنه لم يكد ينطق بها حتى ضـــحك الســـامعون ، وأنا فى جملتهم ، مصر محتلة بدولة أجنبية يعرف الكولونيل روزفلت أنها قائمة على شئونها قيام الوصي على قاصر غني ،

---

[1] الصواب أن يقال " آية قرآنية " هي : " إن الله مع الصابرين " بدون قولـــه " إذا صبروا : فليست من الآيـــة .

فــلا الوصـــي يريد أن يرفع يده عن ذلك القاصر وكل ما يملك ، ولا القاصر يستطيع أن يدرك منزلة الرشيد ، مادام الوصي يمنعه من الوصول إليها بمقتضى مصلحته الخصوصية ، ألم يكن الأجدر بالكولونيل روزفلت وهــو ينصـــح المصريين أن يصبروا إلى عدة أجيال ليكون الله معهم ، أن يوجـــه لأبناء عمومته المحتلين نصيحة توجه إلى الوصي القوي الطماع ، فإذا قيل : إن الخطيب تحاشى ذلك حتى لا يجعل مركز المحتلين حرجاً أمام الوطنيين ، فكيف سوغ لنفسه وهو يمثل أعظم أمة حرة ، أن يجعل مركز الوطنيين حرجاً أمام المحتليـــن " .

وبجانـــب هـــذه المقـــالات وغيرها كانت المقالات الاجتماعية لمصـــطفى لطفي المنفلوطي ، مما أدى إلى تطور موضوع المقال ، وانطلاق أســـلوبه حراً ، يعبر عن حاجات المجتمع فى سهولة ويسر ، ودنا الكتاب مـــن أذواق الناس وعقول المواطنين ، وبعد المقال عن الألفاظ الغريبة ، وحمل من المعنى والبساطة قدر ما كان يحمل من زينة وزخرفة فى الماضي .

ومن ثم بلغ المقال قمته فى هذا الطور ، وأصبح فنا مستقلا يغزو الحـــياة والمجـــتمع ، وتحرر من وشى الكلفة ، وبهارج الصنعة ، وخاض معترك الحياة من جميع وجوهها الاجتماعية والسياسية والقومية والفكرية وبـــدا هـــذا واضحاً وجليا فى نظرات وعبرات المنفلوطي ، مع قدرة فى التصوير ، وبراعة فى التحليل ، وصحة فى العبارة وسلامة فى الأداء .

الطور الرابع :

نعـــني بـــه الفترة التى أعقبت الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ــ ١٩١٨ ، وتأثرت بأحداث ثورة الشعب ١٩١٩ ، وامتدت حتى الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ــ ١٩٤٥ ، وفى هذا الطور بلغ النشاط السياسي والوعـــي الفكري ، والنضوج الأدبي ذروته ، ووقعت أحداث جلى على مســـرح الحياة السياسية والاجتماعية والأدبية ، فاتقد النشاط الصحفي بـــتعدد الأحزاب والصحف اليومية والأسبوعية لاسيما بعد موت سعد زغلول ١٩٢٧ ، وانقسام الأمة إلى طبقات .

خلال هذا الطور ظهرت صحف عديدة ، كان لها تأثير عميق فى الحياة بصورة عامة مثل جريدة " السفور " ١٩١٥ لعبد الحميد حمدي ، و " الوجدانيات " ١٩٢١ لمحمد فريد وجدي ، ثم صحف الثورة مثل : " الاستقلال " ١٩٢١ لمحمود عزمي ، و " البلاغ " ١٩٢٣ لعبد القادر حمزة ، و " كوكب الشرق " ١٩٢٤ لأحمد حافظ عوض ، و " الأخبار " ١٩٢٥ لأمـــين الرافعي ، و " الأسبوع " ١٩٢٦ لعبد القادر المازني ، ثم تلـــتها صحف أخرى مثل : " وادي النيل " ١٩٢٩ لمحمد توفيق دياب ، و " الشـــعب " ١٩٣٠ لســـان حال حزب الشعب الذى قادة إسماعيل صدقي ، و " المساء " ١٩٣٠ التى رأس تحريرها أحمد محرم ، و" الجهاد " ١٩٣١ لمحمـــد توفيق دياب ، و " روز اليوسف " ١٩٣٤ لفاطمة روز اليوسف ، و " المصري " ١٩٣٦ لمحمود أبو الفتح وغيرها من الصحف .

حفـل هذا الطور بنفر من الكتاب ، فيهم الناقد والمؤرخ والمربي والمتفلسـف والخطيب والسياسي والقاص وغيرهم ممن شاركوا فى تجديد الأدب ودعمـه بآثـار خـالدة مـن أمثال يعقوب صروف ١٩٢٧ ، وعـبد العزيـز جـاويش ١٩٢٨ ، ومحمد إبراهيم المويلحي ١٩٣٠ ، وجـبران خليل جبران ١٩٣١ ، ومحمد رشيد رضا ١٩٣٥ ، ومصطفى صادق الرافعي ١٩٣٧ ، وأمين الريحاني ١٩٤٠ ، ومي زيادة ١٩٤١ ، وعـبد العزيز البشري ١٩٤٣ ، وشكيب أرسلان ١٩٤٩ ، وإبراهيم عـبد القـادر المازني ١٩٤٩ ، وخليل مطران ١٩٤٩ ، وزكي مبارك ١٩٥٢ ، وأحمد أمين ١٩٥٤ ، ومحمد حسين هيكل ١٩٥٦ ، وسلامة موسـى ١٩٥٨ ، وعباس محمود العقاد ١٩٦٤ ، وأحمد حسن الزيات ١٩٦٨ ، وطه حسن ١٩٧٣ .

تـبارى كتاب هذا الطور على صفحات الجرائد المختلفة ، حتى شـهد المجـتمع الأدبي صـراعاً بين أنصار القديم بقيادة مصطفى صادق الرافعي ودعاة التجديد بزعامة طه حسين ، وأسفرت المعركة عن انتعاش الفكـر العـربي الحديـث ، وهيأت أدبا عربيا حديثا له شأنه وكيانه ، وشـاركت المـرأة فى الحياة الأدبية ، فكان لندوة " مي زيادة " أثرها فى حياة الأدب والأدباء ، وظهرت أقلام بعدها لموهوبات من أمثال : عائشة عبد الرحمن ، وسهير القلماوي ، وأمينة السعيد وفدوى طوقان ، ووداد السكاكيني ، وملك عبد العزيز ، ونازك الملائكة .

أدت جهود هؤلاء جميعاً إلى إذكاء الفكر ، وبعث الروح الوطنية وتطـور النـثر ورقيه ، واصبح المقال أوضح فكرة ، وأشمل موضوعاً ، وأكـثر تفـرعاً ، ودان لمـا حققته الصحافة من نضج وإتقان ، وحذق وكمال ، وجلال وجمال ، ونسوق إليك نموذجاً من كتابات هذا الطور ، يصف زكي مبارك أسلوب أحمد حسن الزيات فى كتابه " وحي الرسالة " فيقول :

(هـو أسلوب كاتب يؤمن بأن الكتابة فن من الفنون ، فهو لا يكتفي بشرح الغرض الذى يرمي إليه ، وإنما يتجه عامداً متعمداً إلى تأدية المعـنى تأديـة جمـيلة توحي إلى القارئ فكرة العناية بالأسلوب الأنيق ، والزيات يغرب فى بعض الأحيان ، ومعنى ذلك أنه يوشى كلامه بالألفاظ الغريـبة من حين إلى حين ليحول تلك الألفاظ إلى الكلام المأنوس ، وفى ذلك منهج مقبول فى إحياء المهجور من المفردات اللغوية ، فلم تخلق تلك المفـردات مهجورة ، وإنما عاشت دهوراً ثم تناساها الكتاب والشعراء ، فأضيف ظلماً إلى القريب) .

" والـزيات لم يبـتر هذا المنهج بين أدباء العصر الحديث ، فقد اخـتطه المرحوم الشيخ حمزة فتح الله ، والمرحوم السيد توفيق البكري ، ودعـا إليه أستاذنا الشيخ محمد المهدي ، ولكن مزية الزيات هي القصد فى الإغـراب بحيـث لا يقع منه فى المقال الواحد غير أنظة أو لفظتين ، وذلـك يزيد ثورة القارئ من الوجهة اللغوية بدون أن يوقعه فى التعنت والارتباك ، ويستطيع الدارس وهو يراجع " وحي الرسالة " أن يقيد هذا

الـنوع مـن المفـردات لأن إحـياء تلك المفردات خصيصة أصيلة من خصـائص هذا الكتاب ، ولتوضيح هذه المسألة اذكر كلمة " الريازة " بمعـنى العمـارة ، ثم أتـرك للـدارس حرية الاستقصاء ليعرف أنه قرأ واستفاد " . [1]

وبمـثل هذه الكتابات أصبح المقال يشبه الكتاب الصغير الذى يضـم القـديم والجديـد فى الأدب ، ويترجم لأعلام الغرب والشرق ، ويقـدم دراسات فى الفنون حينا ، وفى الشعر والشعراء حيناً آخر ، وفى الـنظم السياسية حينا ثالثا ، وبذلك وصل الكتاب فى مقالاتهم إلى درجة الإبـداع ، وتخصص نفر منهم فى مجالات الفكر والأدب ، فوضعوا أمام الأجيال منارات تهدى إلى أقوم السبل فى الحيـاة الأدبيـة .

ومـن ثم وطـدت دعائم المقال الأدبي ، ورسخت أصوله حتى أصبح معرضا لكثير من ضروب المعرفة ، وحقائق الأدب ، وألوان الثقافة وبذلـك أوجـد وعـيا علميا وأدبيا فنيا ، ونهض يعمق شعور القراء ، ويسـاعدهم على تفهم الحقائق حولهم فى ضوء غامر من النقد والتحليل والمعرفـة .

ولا نـبالغ إذا قلنا أن هذا الطور شهد خلق الوعي الاجتماعي ، والإبـداع الأدبي ، وتعدد فنون القول ، وأصبح المقال فيه أداة التعبير فى التأليف والترجمة والإذاعـة والصحافة وشتى ألوان النشـر .

---

[1] راجع : زكي مبارك ناقداً ، ص ١٦ وما بعدها ، طبعة الشعب ١٩٧٨م .

الطور الخامس :

نعني به الفترة التى واكبت الحرب العالمية الثانية ، وامتدت لثورة ١٩٥٢ ، ومـا وليها من العهد الاشتراكي ، ولقد قلنا من قبل أن الأمة انقسـمت إلى أحـزاب بعد موت سعد زغلول ١٩٢٧ ، وحرص كل حـزب على الحكم أكثر من حرصه على مصلحة الأمة ، فهال الشباب الوطـني مصرع الكرامة ، ووأد الفضيلة ، وذبح الوطنية فى عهد الملك السـابق ، ولمـا شـاع الاستبداد ، وعم الفساد ، وثب نفر من صفوة الضـباط الأحـرار ، وقادوا ثورة ١٩٥٢ ، وأطاحوا بعرش الفساد ، وقضـوا على الأحزاب ، وحققوا الاستقلال أمل الشعب طوال سبعين عاماً خلت قبلة .

ووقفـت مصـر مـن البلاد العربية موقف الريادة ، فتحررت شـعوب ، وثـارت أخرى ، وانعكس هذا على حياتنا الفكرية ، وبدأ الكتاب يستعيدون المفاهيم القديمة فى الحرية والعدالة والمساواة ، وصاغوا ذلـك فى ثوب جديد من حياتنا الاشتراكية الحريصة على تحقيق الكفاية والعـدل ، وتمكـن الكتاب خلال هذه التجربة الحية من ممارسة الحرية والشعور بها ، وانطلقوا فى كتاباتهم دون الوقوف عند حد ، فأتوا بالجديد فى الأدب والفكـر .

وحفل هذا الطور بنفر من كتاب اللامعين من أمثال : محمود أبو الفـتح ، وأحمـد أبو الفتح ، وميخائيل نعيمه ، وعلي ومصطفى أمين ، ومحمد التابعي ، ومحمد حسنين هيكل ، وزكي نجيب محمود ، وأحمد بهاء

الديـــن ، وحســـين فوزي ، ولويس عوض ، ومحمد زكي عبد القادر ، وأحمـــد الصـــاوي محمـــد ، وعلي حمدي الجمال وغيرهم ممن يعملون فى الصـــحف المصـــرية والعربية اليوم ، وبعض هؤلاء يعيشون بيننا اليوم ، وتتمـــيز أســـاليبهم بالتأثر بالأدب الغربي ، واستلهموا ثقافاتهم من ينابيع شـــتى ، ويعملـــون بجد ونشاط فى حياة الفكر المعاصر ، ولا نستطيع أن تدخـــل كـــتاباتهم الـــتاريخ حتى تستكمل آثارها ، ويصبح لها طابع فني يؤهلها للحكم عليها .

كتب محمد حسنين هيكل مقالا بجريدة " الأهـــرام) بعد نكسة ١٩٦٧ تحت عنوان ((مصر الالتزام والقدر)) جاء فيه :

(لعـــل الموقف المصري هو أوضح المواقف على مسرح الصراع الكبير والخطير الدائر الآن على أرض الشرق الأوسط ، والموقف المصري ســـهل بســـبب وضوحه ، وهو لنفس السبب صعب ، والوضوح نهار ، والـــنهار تعـــرض ، وذلك يعكس الغموض الذى يمكن أن يكون ليلا ، واللـــيل نهـــارا ، ومـــن هنا فلعل الحديث عن دور مصر ـــ فى صراع الأطـــراف العشـــرة عـــلى أرض الشرق الأوسط ـــ أن يكون فى بعض نواحـــيه تحصـــيل حاصل ... وهو على أحسن الفروض يؤكد أكثر مما يضـــعف ، ويذكـــر أكثر مما يجدد أن مصر كانت ـــ وما زالت ـــ على ارتباط وثيق بمجموعة من الالتزامـــات ، هي :

١ـــ النضـــال المســـتمر لتحقيق حريتها السياسية والاقتصادية والفكرية .

٢ــ اعتــبار حــرية مصر مفتاحا للحرية الاجتماعية من اليقين العميق بوجوه التاريخ والمصير .

٣ــ نتــيجة لذلك يجيء رفض مصر لقيام أى عازل جغرافي أو سياســي أو عســكري بينها ، وبين شعوب الأمة العربية ، خصوصا فى الشرق الأوسط ، حيث الخطر جاثم وعدواني .

٤ــ كان الخطر الذى انتهجته السياسة المصرية فى المجال الدولي تعــبيراً عــن ذلك كلــه ، من حيث عدائه للاستعمار وصداقته مع كل القوى المعادية له فى العالم ، وانتهاج طريق عدم الانحياز .

... ولم تكن المشكلة الحقيقيــة للالتزام المصري أنه واجه غزوة من أعتى الغزوات الموجهة إلى الأمة العربية ، وهي الغزوة الاستعمارية ــ الصهيونية ــ ولكن المشكلة الحقيقيــة كانت أن الالتزام المصري واجه هــذه الغــزوة العاتية فى ظروف مرهقة لأنها ــ داخل الأمة العربية ــ كانت ظروف الحيرة والتمزق على مفارق التطور .

١ــ هل الإطــار الصحيح لنضال هذه الأمة العربية هو الجامعة الإسلامية أو هو الجامعة العربية .

٢ــ هــل الهدف هو الاستقلال الوطني بحدوده الانعزالية .. أو هو القومية العربية بأبعادها الشاملــة .

٣ــ هــل يكون العمل العربي داخل الإطار ، ونحو الهدف على أســاس المــنهج التقليدي ... أو أن المنهاج الحتمي هو الثورة لتعويض التحلف وتحقيق النمــو .

٤ـ لمــا كان كل تفاعل تاريخي يخلق أنبياؤه ، ويخلق أدعياؤه فى نفس الوقت ، فإن العالم العربي خلال سنوات طويلة دفع كثيراً فى معاناته بحــثا عن إجابات على الأسئلة التى واجهت طريق تطوره من هذا كله ، فإن مشكلة الالتزام المصري ، أنه كان يقود عالما عربيا ، تتضارب داخله الإرادات فى صــراع مــع عدو أو أعداء ، توحدت إرادهم على قهرها فضلا عما يملكونه من أسباب القوة الماديــة المتفوقة .

وإن مصــر ـ إنصافا وليس تعصبا ـ لم تهرب من قدرها ، وإنما واجهــته بشجاعــة ، ووصلت إلى الحزب من أجله على أرضها ، وعلى كل أرض عربيــة :

ـ من ١٩٥٢ إلى ١٩٥٦ حاربت مصر على أرضها حتى تحقق انتصار السويس العظيم .

ـ مــن ١٩٥٥ ولــثلاث سنوات بعدها كانت مصر وحدها تــتحمل عبء الثورة الجزائرية ، حتى تنبهت الأمة العربية كلها إلى أهمية الحرب من أجل عروبة واستقلال الجزائر .

ـ ١٩٥٧ انتقلــت القــوات المصرية إلى سوريا فى وجه تهديد بالغزو من حلف بغداد وقتها .

ـ ١٩٥٨ كانــت قوات الجمهورية العربية المتحدة على أهبة الاستعداد لحماية ثورة العراق من أى تدخل أجنبي .

ـ ١٩٦٢ ذهبــت مصر إلى اليمن ، وتركت على جبالها أربعة آلاف شهيد .

ــ ١٩٦٤ كانــت هــناك قــوات مصرية تقطع عرض البحر الأبيض المتوسط لمساندة الجزائر .

ــ ١٩٦٥ كان هناك لواء مصري مدرع فى بغداد ، يشارك فى حمايــة الثورة ، وعندما سحب هذا اللواء بعد ١٩٦٧ ــ وبسبب الحب ــ كانــت تلك هي الفرصة التى انتهزها عناصر الانقلاب التى أطاحت بحكــم عــبد الرحمن عارف ، ومهدت لعودة حزب العراق متواطئاً مع بريطانيا .

ــ ١٩٦٦ كانت مصر تشارك عسكريا فى صنع استقلال اليمن الجنوبيــة .

ــ ١٩٦٧ كانــت تواجــه محنــتها الكبرى ، بحرب شاملة مع إسرائيل ، وكانت بداية الحرب بسبب تهديد موجه إلى سوريا .

فى ذلــك الوقــت ــ كما قلت ــ قدرت مصر موقفها الوطني والقومي تقديراً وضعت فيه كل تجربتها ، كان تقديرها أن الموقف يحتاج إلى الفصـــل ، ولا يحتاج إلى الانفصال ، وأنه بالفعل يمكن أن تستفيد من كل ما ضاع على الأقل ، وإما بالانفصال فإنها تضيع ما بقى ، كان رأيها فى الشعارات المطروحة أيام الضياع كما يلي :

ــ وقــف إطلاق النار : نعم ، ولكن كي نستطيع بعده أن نعود إلى إطلاق النار بكفاءة واقتدار .

ــ الاتحــاد السوفيتي : لا يجب أن ننسى أنه إذا كان هناك أمل فى سلاح لن يجئ إلا من الاتحاد السوفيتي وحده دون غيره .

ـــ الحـــرب الشـــعبية : ذلك شعار مشكوك فى نتائجه بالنسبة لظروفـــنا ، وبدلا من أن نقول بالحرب الشعبية ، فليكن قولنا له : حرب الشـــعب فى المعـــركة والجيوش فى الحرب هذه المرة ، لا يجب أن تكون تقلـــيداً ، وإنما عليه أن يبدع ، ومع العلم أيضا أنه لابد أن يكون هناك مجال ـــ بالقطع فإن هناك مجالا ـــ لفصائل شعبية مسلحة ، تقوم بدورها فى المواجهة المستمرة مع العـــدو .

حلل هيكل فى مقاله الأسبوعي وضع مصر بين دول بلاد العروبة والتزامها القومي بعد نكسة ١٩٦٧ ، ودورها فى المنطقة العربية ، وتعد خلالـــه أوضـــاعا معيـــنة لا يرضـــاها عربي غيور على وطنه وعروبته وأصالته .

وعـــلى الجملـــة فقـــد أصبح المقال فى هذا الطور فنا يدرس فى جامعاتـــنا وفـــق أصـــول وقواعد ، لها نظمها وتقاليدها ، وبهذا دعمت الصـــحافة البـــناء الأدبي ، وأعانت على الابتكار فى فنون النثر ، وألوان القول ، وفتحت صفحاتها لكل جديد ، وأصبحنا نطالع المقالات الطويلة والقصـــيرة فى مخـــتلف شـــئون الحـــياة على صفحات الصحف اليومية والأسبوعية والشهرية والفصليـــة .

أثر الصحافة فى تطور المقال :

يـــراد بالصحف الجرائد التى تصدر يومياً ، والمجلات التى تظهر مـــن وقـــت لآخـــر ، وقد شاع منذ نهضتنا الصحيفة كلمات : الجريدة والصحيفة والمجلة ، ولذا يحسن أن نقف على المدلول التاريخي لكل منها : حـــتى نكـــون على بينه مما يتداول بيننا من الصحف ، ويصدر عن دور الصحافـــة :

١ـــ الجريدة :

الجريدة ـــ فى الأصل ـــ سعفة النخل الجافة المقشورة ، وإحدى الأدوات الـــتى كتـــب العرب عليها منذ الجاهلية ، وقد جاء فى الحديث النبوي الشريف : " كتب القرآن فى جرائد " ، ثم أطلقت على الأوراق الـــتى يـــتداول الناس قراءتها يومياً أو دوريا ، وتسمى " الصحيفة " مرة و " النشرة " أخرى ، و " الورقة " ثالثة . وأصبحت " الجريدة " صحيفة حـــزب الأمـــة ، ولســـان حال أعضائه منذ إنشائه ١٩٠٧ أحمد لطفي السيد .

٢ـــ الصحيفة :

الصحيفة ـــ فى الأصل ـــ الشيء المكتوب سواء أكان جلداً أو قماشاً أو نباتاً أو حجراً أو عظماً أو ورقاً ، وتعني الكتاب بمعنى الرسالة ، وصـــحيفة لقـــيط بن يعمر الآيادي التى بعث بها إلى قومه ينذرهم بعزم كسرى على قتالهم مشهورة فى أدبنا العربي القديم ، ابتدأها بقولـــه :

سلام فى الصحيفة من لغيط　　إلى من بالجزيرة من آياد

وختمها بقولـــه :

هذا كتابي إليكم والنذير لكم　　لمن رأى رأيه منكم ومن سمعا [١]

وهـــي قصيدة تربو على الخمسين بيتا ، والكتاب على أى حال أعم من الصحيفة .

وقال درهم بن يزد الأوسي يذكر الخزرج العهود المكتوبة على الصحف بينهم فقال :

وإن ما بيننـــا وبينكـــم　　حين يقال : الأرحام والصحف [٢]

وقال قيس بن الخطيم :

لما بدت غدوة جباههـــم　　حنت إلينا : الأرحام والصحف [٣]

والمـــراد بالصـــحف : العهود والمواثيق والأحلاف المسجلة فى الصـــحائف ، ومن أشهر العهود والمواثيق العربية " صحيفة قريش " بين

---

(١) راجـــع : مختارات ابن الشجرى ص ٧٠٢ ، طبعة ١٣٠٦ هـــ ، والشعر والشـــعراء جـــ١ ص ١٥٢ لابن قتيبه ، والأغاني جـــ ٢٠ ص ٢٤ طبعة " ساسي " .

(٢) راجع : الميكروفيلم بمعهد المخطوطات بالقاهرة ورقة ٢٠ .

(٣) راجع : ديوانه ، ص ١٩ .

بـــنى هاشم وبني عبد المطلب ، ولقد وردت كلمة " الصحف "[١] ثماني مـــرات كـــلها بصيغة الجمع فى القرآن الكريم ، ولا حصر لها فى كتب رســـول الله ـــ صـــلى الله عليه وسلم ـــ وكتب صحابته ـــ رضوان الله عليهم ـــ .

٣ـــ المجلـــة :

المجلـــة كلمة عربية فصيحة من جل الشئ إذا عظم قدره وارتفع شـــأنه ، جاء فى معجم " لسان العرب " المجلة : الصحيفة فيها الحكمة ، يقول النابغـــة :

مجلتهم ذات الأله ودينهـــم   قويم فيما يرجون غير العواقب

يـــريد بمجلـــتهم " الصحيفة " وعنى بها " الإنجيل " لأنهم كانوا نصارى .

ويروى أن سويد بن الصامت قال لرسول الله ـــ صلى الله عليه وســـلم ـــ : لعل الذى معك مثل الذى معي ، فقال : وما الذى معك ؟ قال : " مجلة لقمان "[٢] .

---

(١) راجع الآيات القرآنية التالية : طه ١٣٣ ، النجم ٣٦ ، عبس ١٣ ، التكوير ٢٠ ، الأعلى ١٨ ، ١٩ ، المدثر ٥٢ ، البينة ٢ .

(٢) راجـــع : الفـــائق فى غريـــب الحديث جـــ ١ ص ٢٠٦ للزمخشري طبعة ١٩٤٥م .

يـــريد كـــل كتاب فيه حكمة لقمان فهو " مجلة " ، وأطلقت فى أول الأمـــر عـــلى الكتاب والكراسة ، قال أبو عبيدة : كل كتاب عند العرب " مجلة " .

وتحدث ابن الأعرابي عن نفسه فقال : " أنه كان فى يده كراسة فلقى أعرابيا ، فسأله : ما المجلة ؟ فأجاب : التى فى يدك " .

وفى العصـــور والوسطى شملت " المجلة " كل ما يتضمن حكمة ، فسميت أمثال لقمان الحكيم " مجلة لقمان " ، وقيل عن شعر أمية بن أبى الصـــلت " مجلـــة أدبية : لكثرة ما يتضمن من حكم ، وانحصرت مهمة " المجلـــة " فى تسجيل ما زخر المجتمع العربي به من صور خلال عصوره المخـــتلفة ، وبيئاته المتعددة من مثل : مجالس الأدب والمناظرات والأمالي وتـــناقل الـــروايات فى الأخـــبار والأشـــعار ، ولذا قال الراغب : سمى المصـــحف " مجلـــة " ، وظل هذا المعنى شائعاً حتى بداية نهضتنا الحديثة ، حـــتى فـــرق رواد الصحافة وحملة الأقلام بين الصحف اليومية التى تهتم بالخبر والحدث ، فسموا الواحدة منها " صحيفة " وبين الصحف الدورية التى تناقش نظرية وتنقد رأيا ، وسموا الوحدة منها " مجلة " وقصروها على الصـــحف الأدبية والعلمية والإسلامية واليهودية [1] والنسائية والسياسية والاقتصـــادية والفلسفية ، والخاصة بالأطفال والفنون الجميلة والموسيقى والتاريخ والآثار ، والمجلات المصورة وغيرها مما يقلى أضواء جديدة على تاريخ الآداب والعلوم والفنون والثقافة فى مصر وبلاد العروبـــة .

---

(١) صدرت بمصر الصحف التالية : إسرائيل ، الاتحاد الإسرائيلي ، صهيون .

وأول مـــن استعمل لفظ الصحافة [1] بمعناه المعاصر الشيخ نجيب الحداد ١٨٦٧ ــ ١٨٩٩ منشئ " لسان العرب " ١٨٩٤ بالإسكندرية وظــل الصحفيون لا يفرقون بين الجريدة والمجلة فى الاستعمال حتى تولى الشـــيخ إبراهيم اليازجي ١٨٤٧ ــ ١٩٠٦ إدارة صحيفة " الطبيب " البيروتية ١٨٨٤ ، أشار إلى لفظة " مجلة " فقال : " أنها صحيفة علمية أو دينـــية أو انـــتقادية أو مـــا شاكل ذلك ، تصدر تباعا فى أوقات معينة " وتابعته المجلات التى صدرت بعد مجلته ، وبلغت الصحف فى مختلف بلاد العـــروبة ثلاثة آلاف وثلاثا وعشرين صحيفة منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي حتى نهاية الثلث الأول من القرن العشرين ، وكان لمصـــر فضيلة السبق فى هذا المجال ، إذ ظهرت جريدة " التنبيه " ١٨٠٠ بمدينة الإسكندرية ، والوقائع المصرية فى ١٨٢٨ بالقاهرة .

وســـنحاول أن نتعرف على أشهر المجلات الأدبية التى أثرت فى اللغـــة والأدب وتطور المقال ، ففي لبنان كانت مجلات : الجنان والزهرة والمهمـــاز والـــنحلة ١٨٧٠ ، والنجاح ١٨٧١ ، والمقتطف ١٨٧٦ ، والمشـــكاة ١٨٧٨ ، والجامعة ١٨٩٤ ، والمشرق ١٨٩٨ للأب لويس شـــيخو اليسوعي ١٨٥٩ ــ ١٠٢٧ ، وفى فترة ما بين الحربين العالميتين ظهرت المجلات الأدبية التالية : المرأة الجديدة ١٩٢١.، ومنيرفا ١٩٢٣ والكشـــاف والمعرض والجمهور والعرفان والمكشوف والأديب واللواء اللبنانية .

---

(١) راجع : تاريخ الصحافة العربية للكونت فيليب أى طرازي .

أمـا فى مصر فقد أنشأ اللبنانيون فيها المجلات الثقافية والعلمية ، واهـتموا بتطويرها وتهذيب أسلوبها ، فكانت مجلة النحلة الحرة ١٨٧١ للويـس الصابونجي ، ومرآة الشرق ١٨٨٢ لخليل اليازجي ، والحضارة ١٨٨٢ لميخائـيل جرجس عورا ، وانتقلت المقتطف إلى مصر ١٨٨٥ ، وظلـت تصـدر حـتى ١٩٥٢ ، والشـفاء ١٨٨٦ لشبلي الشميل ، والطـائف ١٨٨٦ لشاهين مكارنوس ، والهلال ١٨٩٢ لجورجي زيدان ولا تزال حتى اليوم تواصل رسالتها ، والبيان ١٨٩٧ والضياء ١٨٩٨ وهمـا للمرحوم إبراهيم اليازجي ، والهداية ١٩١٠ لعبد العزيز جاويش والزهور ١٩١٠ لأنطون الجميل ، والكنانـة لشاكر شقير .

وبعـد ثـورة ١٩١٩ قلد المصريون اللبنانيين فى إنشاء المجلات وتنسـيقها ، فكانـت المجـلات المتخصصة فى مجالات العلوم والفنون والصـناعات ، وظهـرت المجـلات التى تهتم بالمقال الأدبي مثل الثورة ١٩٢٤ لمحمـد علي طاهر ، والفجر ١٩٢٥ ـ ١٩٢٩ ، وكانت تحفة السـحافة الأدبـية ، والزهـراء ١٩٢٦ والمصور ١٩٢٦ ، والسياسة الأسـبوعية ١٩٢٦ ، والـبلاغ الأسـبوعي ١٩٢٦ ، والمجلة الجديدة ١٩٣٠ للمرحوم سلامة موسى ، وقد مزج فيها بين العلم والدين والفن ثم مجلـة أبوللـو ١٩٣٢ ـ ١٩٣٤ ، والرسـالة ١٩٣٣ ـ ١٩٥٢ لـلمرحوم أحمـد حسـن الزيات ، والشباب ١٩٣٦ لمحمود عزمي ، والشـباب ١٩٣٧ ـ ١٩٣٩ لمحمد علي طاهر ، والثقافة ١٩٣٩ ـ ١٩٥٣ لأحمـد أمـين ، ولا تزال تصدر حتى اليوم تحت إشراف وزارة

الـثقافة المصـرية ، والكاتـب المصري ١٩٤٥ ـ ١٩٤٨ ، والكتاب ١٩٤٥ ـ ١٩٥٣ .

عـلى صفحات الصحف ـ اليومية والدوريـة ـ وعلى أيدي كـتابها ظهر المقال بخصائصه وسماته وأصبح فنا أدبيا له رونقه وجمالـه ، وسـحره وجلاله وأثره فى النفوس ، وغدا أكثر رواجاً من الأقصوصة ، لأن الصحافة لم تخلو من موضوع فى فن النقد أو الأدب أو الاجتماع أو السياسة أو للعمل .

وفرضت الصحف أن يعبر الكاتب عن حاجات العصر وأحداثه ويصـور ما يحيط به بأسلوب يسهل فهمه ويمكن إدراكه ، دون التقييد بنسـق معين أو موضوع محدد ، فكثرت الموضوعات وأثرت الحياة ثراء طيـباً ، لمـا خاض فيه الفكر ، وجاشت به الخواطر ، ودبجته الأقلام ، فـنهض المقال بعد أن ظل يتأرجح بين نقطة تدور حولها فى الأداء ، وبين الانعكاسات الهزيلة فى نفس الكاتب .

ومـنذ مطلـع هذا القرن عرف المقال طائفة من الكتاب الذين بـرزوا فى مجـال الأدب والسياسة والاجتماع ، وتميزوا بسعة الإطلاع والـتعمق فى الثقافة العربية ، والوقوف على فنونها من أدب وفن وفلسفة ونقـد ، بيـنهم المتعمق فى فكرته كالعقاد ، والسهل فى أدائه كالمازني ، والقادر على معالجة مناص الحياة الأدبية كطه حسين ، على أيدي هؤلاء الكـتاب كانـت محاولات التجديد فى الأدب العربي ، وتطور المقال فى مضمونه وأدائه ، وتعدد فنونـه .

وفى منتصــف العشــرينات تــرددت كلمة " الثقافة " فى ظل الصــحافة نتيجة لتطور الفكر الصحفي ، وظهرت نوعيات من المقالات تجمــع بــين الأدب والعلم والسياسة ، عرفت " بالأدب العلمي " ، ولما لوحــظ التعارض بين الأدب والعلم اتفق الدكتور محمود عزمي والأستاذ ســلامة موســى على أن " الثقافة يراد بها الكتابة التى تجمع بين نواحي المعــرفة بمفهومها القديم والحديث ، ومن ثم حلت كلمة " الثقافة " التى أصــبحت تحيط بكل ما يتصل بالنشاط الفكري فى العصر الحديث محل كلمة " معرفة " ذات المفاهيم الواسعة فى الأجيال القديمــة .

وأدى تعــدد الصحف الأحزاب إلى ظهور " الهجاء السياسي " وهو لون جديد من أدب المقال يصور الحياة تصويرا صحيحاً ، فاتسعت دائــرة المقــال وأصــبحت أدبية واجتماعية ونقدية ، وحملت الصحف دعــوات المفكرين لتنشيط الثقافة الأدبية واللغوية مثل دعوة أحمد لطفي الســيد للتقريب بين الفصحى والعامية ، التى ترتب عليها تيسير أسلوب الكتابة على الجماهير ، ورواج الأدب وتخلصه من الذاتية إلى الموضوعية واهتمت صحيفة السياسة اليومية بالعديد من النظريات الأدبية ، وحرص ناقدهــا الأدبي طــه حسين على تمحيصها بالنقد والإرشاد والتوجيه كما بســط محمد حسين هيكل على صفحات السياسة الأسبوعية دعوته إلى الأدب القومي الذى يعتمد على التاريخ المصري وطبيعة وادي النيل .

وكشــفت مجلة " أبوللو " عن مواهب أدبية مطمورة ، تربعت عــلى أريكــة الشعر والنقد المعاصر ، وحرصت مجلة " الرسالة " على

الدراســـة الأدبية والنقدية وإحياء اللغة ، فأسهمت بقسط وافر فى نهضة الأدب الحديث ، وتبعتها مجلة " الثقافة " ذات الطابع العربي الرصين ، ثم كانـــت مجلة " الكاتب المصري " التى مال كتابها إلى الانطلاق والتحرر ، أضـــف إلى هذا كله أن الصحف كانت معرضا للمساجلات الأدبية بين قـــادة الفكر وأعلام الكتابة كالرافعي والعقاد وطه حسين وزكي مبارك وغيرهـــم ممـــا غذى الفكر الحديث ببحوث وأراء ونظريات واتجاهات كانت بداية لمرحلة تحول فى الحياة الثقافية والفكرية معا .

وهكذا لعبت الصحف وأدى الكتاب دوراً كبيراً وفعالاً فى رقي الأسلوب واتجهت الصحف به نحو الكمال ، وأنعشت الفكر ، وارتفعت بالعقلية العربية عامة ، والمصرية بصورة خاصة ، وفتحت آفاقا جديدة فى التصوير والتعبير أمام الكتاب والمفكرين ، فنهض المقال وتطور ، وأصبح أكثر رواجاً من فنون الأدب الأخرى .

الفصل الثالث

فن كتابة المقـــال

الخطوات التى ينبغي أن يمر بها كاتب المقال : (*)

يعرف المقال بأنه إنشاء قصير نسبيا يتناول موضوعاً محدداً ، وقد يطـــول ليصـــبح بحثاً قصيراً أو فصلا فى كتاب مرتبطاً بفصول أخرى ، وكلها تعالج مشكلة ما ، والآن نعرض لمقومات كتابة المقال ، الذى يتخذ الموضوعية منهجاً فى معالجة مسألة تتعلق بالإنسان أو شئون الحياة ، وهذا الـــنوع من المقال يخاطب العقل أكثر من إثارته للعاطفة ، ومن ثم يتطلب قدراً من التحديد والتنظيم .

والمقال : عادة يتكون من عدد من الفقرات المترابطة التى تعرض لموضـــوع واحـــد بالمناقشـــة والتحليل ، وهذه الفقرات تتكون من جمل مكونة بدورها من مجموعة ألفاظ وفق تركيب خاص ، وسنحاول عرض الخطوات التى ينبغي أن يمر بها كاتب المقـــال .

(*) راجع فى هذا الشأن بتصرف : د/ أحمد شوقي رضوان و د/ عثمان بن صالح القـــريح ، التحرير العربي ، ص ١١١ وما بعدها ــ جامعة الملك سعود ــ الرياض ١٤١٨هـــ .

أولاً : اختيار الموضوع

عـــلى الكاتب أن يختار موضوعاً لمقاله ، وهذا يتطلب أن يختار موضـــوعاً يعـــرف عنه قدراً كافيا من المعلومات ، وأن يكون الموضوع مقبولاً من جانب القراء الذين يكتب لهم ، وهنا قد يتوقف الكثيرون ، فى اختـــيار موضوع يكتبون عنه بدعوى أنهم لا يجدون ما يستطيعون قولـــه وأحـــيانا يختارون موضوعاً ثم يكتبون جملة أو جملتين ويتوقفون بحجة أن الموضوع لا يناسبهم ، أو أنه لا يناسب قراءهم .

وهذا التردد يمكن أن يتبدد بعد قليل من التأمل أو التدبر ، فكل منا لا يعيش منعزلاً فى هذا العالم ، بل هو فرد فى أسرة المجتمع يشارك فى الحـــياة ، ويمر بتجاربها اليومية بما فيها من تنوع ، ولكننا لا نتوقف لحظة لنـــتدبر ونـــتأمل هذه التجارب ، والموضوعات كلها مأخوذة من تجارب الحياة ، والمطلوب فى المقال ليس التطويل ولا جمع كم كبير من المعلومات بل المطلوب هو التعمق والنظرة الرأسية فى التجارب التى يعيشها ، وفيما يـــلي نذكـــر عدداً من الموضوعات المقترحة ، وسنجد أنها مأخوذة من تجـارب الحـــياة من حولنا ، ويصلح أى منها لأن يكون موضوعاً لمقال طيب :

١ـــ تجربتي الأولى مع التعليم .

٢ـــ كيف عرفت قيمة النقود ؟ .

٣ـــ والداي .

٤ــ أستاذ لا أنساه .

٥ــ رجل عصامي .

٦ــ أشجع من قابلت .

٧ــ أجمل مصيف .

٨ ــ تجربتي مع اللغة الإنجليزية .

٩ــ على الوالدين أن يتذكرا .

١٠ــ انطباعي الأول عن الجامعة .

١١ــ قريبي أو صديقي المحبب إلى نفسي .

١٢ــ الرجل الذى أحب أن أكونه .

١٣ــ أناس لا أستطيع تحملهم .

١٤ــ مدينة الغد .

١٥ــ قريتي أو مدينتي .

١٦ــ أحد المواقف الحرجة .

١٧ــ حادث شاهدته .

١٨ــ عاصفة عايشتها .

١٩ــ تجربة مرعبة .

٢٠ــ هزيمة منكرة .

٢١ــ قراءة الصحف .

٢٢ــ مخترعات واكتشافات هزت العالم .

٢٣ــ لحظات حاسمة فى التاريخ .

٢٤ــ القرآن الكريم منهجاً للحياة .

٢٥ــ صراع الإنسان من أجل الإسلام .

٢٦ــ ماذا علمتني هوايتي ؟ .

٢٧ــ طريقتي فى الاستذكار .

٢٨ــ على البائع أن يتعلم ؟ .

٢٩ ــ جدول الحضور والغياب فى الجامعة .

٣٠ــ ميزات الساعات المعتمدة فى الجامعة .

٣١ــ التصوير فن .

٣٢ــ ماذا يتوقع الطالب من الجامعة ؟ .

٣٣ــ ماذا يدين الخريج للمجتمع ؟ .

٣٤ــ هل يتصارع الإيمان والعلم ؟ .

٣٥ــ ماذا نعني بقولنا " ولد الإنسان حرا " ؟.

٣٦ــ مكانة عمر بن الخطاب فى التاريخ .

٣٧ــ خدمة العلم .

٣٨ــ حرية الرأي وحدودها .

٣٩ــ ماذا نعني بالحلم ؟.

٤٠ــ الفرق بين الثقة بالنفس والغرور .

ثانياً : تحديد الهدف من المقال

إذا نظرنا إلى كل أفعالنا فى الحياة وجدنا أن هناك هدفاً وراء كل فعـــل نقـــوم به ، فنحن نعبد الله ــ سبحانه وتعالى ــ هادفين إلى تحقيق مثالية الإنسان فى الإنسان ، ومن ثم ابتغاء مرضاة الله وتحقيق أمل الإنسان المؤمن فى دخول الجنة .

وإذا استمعت لشخصين يتحاوران أو يتحادثان تلاحظ أن هناك هدفـــاً وراء المحادثة ، يخبر أحدهما الآخر بحدث ، يصف له شيئا ، يناقشه فى أمـــر ، يعـــرض عليه مشكلة ، ينقل إليه تجربة عاشها ويريد مشاركته فـــيها ، والأمر نفسه يحدث عندما نكتب أو نناقش أو نقنع ، أو نقارن ، أو نشركهم فى تجربة سعادة وفرح أو تجربة شقاء وحزن ، وأحد العوامل الأساسية التى يتوقف عليها نجاحنا فى الكتابة هو تحديد الهدف ، وتحديده يعـــني وضوحه فى أذهاننا قبل البدء فى الكتابة ، وهذا التحديد يساعدنا عـــلى أمـــرين أساسين : معرفة ماذا نكتب ؟ وكيف نكتب ؟ فمن أجل تحديد الهدف فمثلاً : لو أنك قمت بزيارة إلى مكة المكرمة ، ثم أردت أن تكتب مقالاً عن رحلتك هذه فعليك أن تحدد أولاً هدفك من المقال :

أتـــريد أن تجعل القارئ يشاركك التجربة الوجدانية التى هزتك والإيمان العميق الذى اعتراك وأنت تقبل على الحرم الشريف ، وتطوف بالكعـــبة المشـــرفة ، وتسعى بين الصفا والمروة ، وتصلي فى مقام سيدنا إبراهـــيم علـــيه الســـلام ، مسبحاً المولى ـــ عز وجل ـــ مستغفراً إياه تائبا إليه ؟ .

أم تـــريد أن تصف له الحرم المكي الشريف ، وتوسعته الأخيرة والتسهيلات التى تقدم إلى حجاج بيت الله .

أم إنك تريد أن تقارن بين مدينة مكة المكرمة فى الوقت الحاضر ومدينة مكة منذ أربعين عاماً ؟

مـــن ذلك المثال تتضح أهمية البدء بتحديد الهدف الذى ينشده الكاتـــب لـــيكون واضحاً ، وليوفر على نفسه المشقة التى يواجهها هو ونواجهها نحن عادة عند الشروع فى الكتابة ، وتجعلنا نضيع الكثير من الجهـــد والوقـــت فى كـــتابة المســـودات وتمزيقها ، ثم إن تحديد الهدف ووضـــوحه يمهـــد الطريق أمامنا نحو الكتابة ، ويقودنا تلقائيا إلى الخطوة التالية فى كتابة المقـــال وهو تحديد العنوان .

ثالثاً : عنوان المقال

للعـــنوان أهمـــية كـــبيرة فهو المنفذ الذى تقع عليه عين القارئ لـــيتعرف على مضمون المقال ، ومن ناحية أخرى ، يساعد الكاتب من جديـــد ، عـــلى تحديـــد موضـــوع المقـــال ، ولذلك ينبغي أن يكون

العنوان محدداً ، ولا يتحقق ذلك إلا عندما يكون الهدف واضحاً فى ذهن الكاتب .

وفى بعـــض الحـــالات يكون العنوان واضحاً من تلقاء نفسه ، ويحدد الموضوع بذاته مثل " ماذا تفعل عند حدوث حريق " ؟ أو " كيف تســـجل فى الجامعة " ؟ أو " الطريقة المثلى للاستذكار " ، هذه العناوين كمـــا ترى ، تصلح للمقالات القصيرة والبسيطة والمباشرة ، أى أنها لا تعطـــي مجالات للكاتب للاختيار بين بدائل من حيث التحديد أو اختيار الزاوية التى يعالج منها الموضوع .

أمـــا عـــندما يكـــون الموضوع ، الذى اخترته لمقالك ، طويلا مـــتداخل الأفكـــار فإن الأمر يحتاج إلى قدر من الجهد والتدبر لاختيار العـــنوان المناســـب ، ولعلك تذكر المثال الذى قدمناه عن زيارتك لمدينة مكة المكرمة ورأينا كيف أن هذا الموضوع واسع غير محدد ويتضمن أكثر مـــن زاويـــة ، وعلينا أن نضع العنوان المحدد للمقـــال من الزاوية التى تهدف إليها ، كأن تقول مثـــلا :

حج مبرور .

أو الحرم المكي الشريف والتوسعات الجديدة .

أو مكة المكرمة بين الأمس واليوم .

ولعلـــك ترى الفرق بين هذه العناوين التى يحدد كل منها مجال المقـــال أمـــام الكاتـــب والقارئ معاً ، ويجعل الأفكار تنساب فى تناسق

ومنطقية دون اضطراب أو خروج أو قفزات من فكرة إلى أخرى يسببها عنوان عام مثل " زيارة إلى مكة المكرمـــة " .

ثم إن العـــنوان ينـــبغي أن يكـــون واضـــحاً مباشراً وبعيداً عن الغموض ، فعنوان مثل " أبها المدينة الجميلة " أو " الساحرة " أو " تعقيد مكنة الديزل " لا يساعد الكاتب على وضوح رؤيته للمقال وماذا يكتب وكـــيف يكتبه ، وإنما يتوقعه فى كثير من الحيرة والاضطراب ، ينبغي أن تكـــون العـــناوين أكثر مباشرة ووضوحاً كأن تقول مثلا " أبها ، إحدى مصائف المملكة " و " كيف تعمل مكنة الديزل " ؟ .

كما ينبغي أن يكون العنوان دالاً على أنه يعالج قضية واحدة فى المقال ، انظر إلى العنوانين التاليين :

التنمية وتوعية المواطن ... مسئولية من ؟

القضية الفلسطينية ، تطورها وحلها .

تـــرى الكابـــت قد ألزم نفسه بمعالجة قضيتين أساسيتين فى مقال واحـــد ، فى المقال الأول عليه أن يعالج العلاقة بين خطط التنمية فى شتى المجالات ووعي المواطن ، وأنه لكي تحقق خطة التنمية أهدافها المرجوة نحو رفاهـــية المواطن ، وتقدمه لابد أن يمهد لها ، أو يصاحبها ، توعية المواطن بهـــذه الخطـــط وبدوره الإيجابي نحوها ، ثم عليه أن يعالج فى المقال نفسه قضـــية أخـــرى ، لا تقل أهمية عن الأولى ، وهي الجهات التى تقع عليها مســـئولية توعـــية المواطن ، ودور الأجهزة المختلفة ، والاقتراحات التى يمكـــن تقديمها لكل جهة معنية بهذا الدور ، وفى المقال الثاني ألزم الكاتب

نفســه بمعالجة قضيتين أساسيتين فى المقال نفسه : الأولى ، عرض لتطور القضــية الفلسطينية بمراحلها التاريخية وصراعاتها السياسية والعسكرية ، والقضــية الثانــية هي الاقتراحات التى يقدمها الكاتب لحل القضية حلا عــادلاً يعــيد للعــرب والفلسطينيين حقوقهم المشروعة ، ولاشك أن الكاتــبين ســيجدان صعوبة فى الربط بين القضيتين فى كل من المقالين ، وسيصــعب علــيهما ــ وعــلى القراء أيضا ــ متابعة الأفكار المتزاحمة والمــتداخلة ، كما سيصعب على الكاتبين الموازنة بين أقسام المقال بحيث يطغى قسم على قسم آخر أو فكرة على حساب أخرى .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن بعض الكتاب يرون من الأفضل وضع العــنوان وتحديده بعد الانتهاء من كتابة المقال فى صورته الأخيرة بعد أن يكــون الهــدف مــن المقال قد تحدد ، ووضحت الزاوية التى عالج منها الكاتب موضوعه .

ومــن ثم يكــون الكاتب عندئذ أكثر توفيقاً وقدرة على اختيار العنوان المناسب لمقالــه .

على أية حال ، هذه خطوة متروكة لاختيار الكاتب فى أن يجعلها تالية لتحديد الهدف أو إرجائها إلى ما بعد .

رابعاً : الإطار والخطـــة

وهـــنا نصل إلى نقطة مهمة على طريق كتابة المقال ، وهي تتعلق بالاطار والخطة اللتين نضعهما للمقال قبل البدء فى كتابته .

وحـــتى ندرك مدى أهمية الإطار والخطة للمقال علينا أن نتخيل الآتي : إنســـاناً يريد بناء منزل يأتي بالنبائين ويحضر لهم كميات من مواد البـــناء اللازمـــة ، ثم يطلب منهم بناء منزل على هذه القطعة من الأرض ومن البديهي أنه يصعب تنفيذ ذلك .السبب أنه ينقصهم شيء هو الرسم الهندسي أو التصميم المعماري الذي يسيرون على هديه عند تنفيذ البناء ، والأمر نفسه قائم عند كتابة المقال ، لابد من وضع إطار وخطة قبل البدء فى الكـــتابة ، وهو لا يقل أهمية ـــ إن لم يكن أكثر أهمية ـــ من الأفكار الكـــثيرة حـــول الموضوع ، نستطيع القول أنه ربما أعجبنا منزل صغير يحـــتوي عـــلى عـــدد قليل من الحجرات والمرافق لكنه مصمم تصميماً معماريـــاً سليما أكثر من منزل كبير يحتوي على عدد كبير من الحجرات والمـــرافق لكنه لم يتوافر له التصميم السليم ، لاشك أن الإنسان يستمتع بـــالمنزل الأول مـــن حيث المظهر وسهولة الانتفاع أكثر بكثير من المنزل الـــثاني الـــذى لا يعجب به الإنسان منظراً أو إقامـــة ، أما إذا اجتمعت الصـــفتان فى المنزل ، الاتساع وسلامة التصميم ، فهذا ما يتوق إليه كل إنســـان ، كذلك الأمر نفسه ينطبق على المقال حيث يحتل الإطار والخطة الأهمية الكبرى فيه إلى جانب المقومات الأخرى من عمق الفكرة وغزارة المادة وجودة الأسلوب .

توضيح الهدف فى ذهن الكاتب وتحديده :

عـــندما نخـــتار موضوعاً لنعالجه فى مقال أو بحث قصير فإننا نبدأ بالقراءة وجمع الأفكار حوله ، وفى هذه المرحلة لا يكون الهدف من المقال واضحاً فى الذهن،أى أننا لا نكون قد توصلنا إلى رأي فى هذا الموضوع. بعد جمع المادة ووضعها أمامنا نبدأ فى رسم الخطة قبل أن نبدأ فى الكتابة ، وفى الحقيقة ، نحن لا نهدف من هذه العملية المبدئية إلى رسم خطة كاملة لـــلمقال بقـــدر مـــا نهدف إلى عرض ما توصلنا إليه من أفكار رئيسية والوصول إلى تحديد الهدف والزاوية التى ستناول منها الموضوع قبل البدء فى كتابتـــه ، انظر إلى المثال التالي : لو طلب منك مثلا إعداد مقال عن الطلبة المتفوقين فى الجامعة ، ونفترض أنك انتهيت من المرحلة الأولى من قـــراءة وبحـــث وجمع للمادة العلمية ، وتوصلت من خلال تحليل مادتك العلمية إلى أن الطلبة المتفوقين فى الجامعة يتميزون بالخصوصيات الآتية :

١ـــ يلقـــون نظـــرة شاملة على الكتب والمناهج قبل البدء فى القراءة المتأنية لها .

٢ـــ يـــربطون بين ما يدرسونه فى مقرر دراسي بما يدرسونه فى المقررات الأخرى .

٣ـــ يستذكرون دروسهم على انفراد .

٤ـــ لا يميلون كثيرا إلى التوسع فى علاقاتهم الاجتماعية .

٥ـ يميلون إلى الصمت والتأمل أكثر من الانفتاح بأفكارهم على الآخرين .

٦ـ يوجهون انتباها خاصا إلى العناوين الرئيسة فى الكتب .

٧ـ يتمتعون بقدر أكبر من الاعتداد بالنفس من غيرهم .

٨ ـ تميل أعمارهم إلى الصغر أكثر من غيرهم .

٩ـ لا يميلون إلى فرض وجودهم فى المجتمع ، ولكنهم أكثر شعورا بالاستقلال .

١٠ـ يميلون إلى أخذ عبء دراسي أقل من غيرهم .

١١ـ عندهم قدر كبير من التصميم والمثابرة .

١٢ـ يصممون على استيعاب كل نقطة قبل الانتقال إلى نقطة أخرى .

١٣ـ يقضون وقتا أكبر فى الاستذكار .

١٤ـ يشعرون بالسعادة والانشراح من وجودهم بالجامعة .

١٥ـ عندهم مؤهلات شخصية للنجاح فى الأعمال التى يعدون أنفسهم للممارستها .

عند إلقاء نظرة سريعة على هذه الأفكار تلاحظ أنه يمكن تقسيمها إلى مجموعات مترابطة ، ويمكن وضع كل مجموعة منها تحت عنوان فرعي مثل :

طريقة الدراسة .

سمات شخصية

سمات اجتماعية

فــتجعل تحت العنوان الأول الأفكار ١ ، ٢ ، ٣ ، ٦ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٣ .

وتجعل تحت العنوان الثاني الأفكار ٥ ، ٧ ، ٨ ، ١١ ، ١٥ .

وتجعل تحت العنوان الثالث الأفكار ٤ ، ٩ ، ١٤ .

وهـــنا نتوقف قليلاً لتحدد الهدف من مقالك تبعاً لهذا التصنيف، الــذى ظهر أمامك ، قد تختار جعل هدفك من المقال " الطلبة المتفوقون فى الجامعة يتميزون بسمات دراسة وشخصية واجتماعية " ومن ثم تخرج بالإطار التالي لمقالك .

أ ــ المقدمة تعرض الموضوع والفرضية التى توصلت إليها .

الطلـــبة المتفوقون فى الجامعة يتسمون بسمات معينة تميزهم عن غيرهم من طلبة الجامعة ، وهي سمات دراسية وشخصية واجتماعية .

ب ــ عرض النتيجة التى توصلت إليها بالعرض والتحليل .

أولا : سمات دراسية : السمات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٦ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٣ .

ثانياً : سمات شخصية : السمات ٥ ، ٧ ، ٨ ، ١١ ، ١٥ .

ثالثاً : سمات اجتماعية : السمات ٤ ، ٩ ، ١٤ .

ج ــ الخاتمة .

وتكون تأكيداً للنتائج التى توصلت إليها وانتهيت من عرضها ، وقد يتبادر إلى ذهنك تحديد غرض آخر لمقالك ، فعندما وضعت السمات أمـامك وصنفتها إلى مجموعات مترابطة لاحظت أن الطلبة المتفوقين قد يكونـون غـير موفقين اجتماعيا بقدر نجاحهم دراسياً ، وهنا قد تتناول الموضوع نفسه من زاوية مختلفة ، وهي لا تقل أهمية عن الزاوية السابقة ، وقد تخرج بالإطار التالي :

الموضوع : الطلبة المتفوقون أكثر نجاحاً فى دراستهم من نجاحهم فى علاقاتهم الاجتماعية .

أولاً : نـاجحون فى دراستهم لأنهم : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٦ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ .

ثانـياً : أقـل قـدرة على التواؤم الاجتماعي لأنهم : ٤ ، ٥ ، ٧ ، ٩ .

الخاتمـة : تلخيص موجز للنتيجة التى توصلت إليها وعرضها بالتفصـيل ، وبذلـك يكـون رسم الإطار قد جعل غرضك من المقال واضحاً فى ذهنك وساعدك على معرفة ماذا تكتب وكيف تكتب .

وسيلة لاختبار مدى تحقيق المقال وهدفه .

رأينا من المثال السابق كيف أن رسم الإطار يساعد على توضيح الهدف فى ذهن الكاتب قبل البدء فى الكتابة ، والإطار يساعد أيضا على رؤية ما إذا كان المقال كما نفكر فى كتابته ، سيحقق الهدف منه أم لا ؟ فالمقـــال الذى لا يتبع خطة سليمة قد لا ينجح فى تحقيق هدفه مهما بذل فـــيه من جهد ، ولذلك نحاول وضع إطار وخطة للمقال أو البحث حتى يســاعدنا ، أيضـــا على التقاط الخطأ أو الاضطراب أو التناقض قبل أن يســـتدعى الأمـــر إعادة كتابة المقال بأكمله ، من السهل على المهندس اكتشاف الخطأ أو القصور ، فيصحح الخطأ ويتلافى القصور على الرسم أمامـــه بـــدلا من الاضطرار إلى هدم البناء بعد إقامتـــه ، وكذلك الأمر نفســـه فى كـــتابة المقال ، بدلا من أن يصرف الكاتب الوقت والجهد فى كـــتابة المقال ، يستطيع أن يتحقق من هذا كله بإلقـــاء نظرة عن الإطار والخطـــة قـــبل الكـــتابة ، كتب أحد الكتاب مقالا طويلا عن " أحدث الاكتشـــافات الطبـــية لعـــلاج السرطان والوقاية منه " ، ونكتفي هنا باســـتخلاص إطـــار المقال بدلا من إيراد نصه الذى يحتل ثلثي صفحة فى إحـــدى الصـــحف اليومـــية ويعرض لأحدث وسائل العلاج من مرض السرطان وطرق الوقاية منـــه .

أولاً : اكتشاف الإنسان لمرض السرطان :

أ ـــ عند قدماء المصريين .

ب ـــ عند قدماء اليونانيين .

ج ــ فى العصور الوسطى .

د ــ فى العصر الحديث .

ثانياً : أسباب الإصابة بمرض السرطان :

أ ــ أسباب خارجة عن الجسم .

ب ــ أسباب داخلة فى الجسم .

ج ــ أسباب متعلقة بالوراثــة .

ثالثاً : أحدث وسائل العلاج والوقاية من مرض السرطان :

أ ــ الجراحــة .

ب ــ الأشعة والراديوم .

ج ــ أنواع معينة من الأدوية .

د ــ العلاج الوقائــي .

لــيس من الصعب تخيل ما فعله كاتب هذا المقال فهو لم يفكر فى وضع خطة للمقال قبل البدء فى كتابته ، بل أمسك بالقلم ، وأخذ يدون كل ما يعن له من أفكار متصلة بمرض السرطان دون اعتبار للهدف الذى حدده للمقال " أحدث وسائل العلاج من مرض السرطان والوقاية منه " ومن أجل ذلك وقع فى الخطأ الذى طالما تحدثنا عنه ، وهو الانحراف عن هذه المقال ، لو أن هذا الكاتب وضع خطه لمقالــه قبل البدء فى الكتابة وألقــى نظــرة عــلى خطتــه لوجد أن ثلثي المقال سيكون خارجاً عن

موضـــوعه ولا يحقـــق الهدف الذى حدده لمقالـــه ، ولما احتاج إلى إعادة كـــتابة المقال مرة أخرى ، وهكذا تتجلى لنا أهمية وضع الإطار والخطة ومراجعتها قبل البدء فى الكتـــابة .

وسيلة مساعدة للقراءة الجيدة .

هذه السطور موجهة إلى طلاب الجامعة فى المرحلة الأولى وطلبة الســـنة التمهـــيدية عـــلى وجه الخصوص ، ويحسن أن نشير أولا إلى أن الهـــدف من الدراسة الجامعية يرمي إلى تنمية شخصية الطالب عن طريق القـــراءة الواعية فى مختلف المجالات العلمية ، واستيعاب ما يقرأ ، ومن ثم تنمية قدرته على عرض ما يقرأ ومناقشته ، كما أن الأسئلة فى امتحانات الجامعـــة تهدف إلى اختبار قدرة الطالب فى ناحية من هذه النواحي أو فى الـــثلاث معـــاً ، إلا أنـــنا نلاحـــظ أن معظم الطلبة يعمدون إلى الحفظ واستظهار المناهج الدراسية ، وينتج عن هذا الأسلوب : عدم الإلمام بكل الأفكـــار الرئيســـية فى الموضـــوع ، وعدم استيعاب الموضوع لأنهم لا يـــلحظون الـــرابطة بـــين الأفكار التى تدور حول الموضوع ، ومن ثم لا يتفهمون هدف المؤلف من الفصل أو الكتاب ، وكيف حقق هذا الهدف من خلال العرض والمناقشة ، ومن هنا يجب :

١ـــ الإلمام الجيد بالأفكار الواردة فى المقال أو الفصل من كتاب

٢ـــ ملاحظة الرابطة الفكرية والمنطقية بين الأفكار الواردة بحيث تحقـــق هـــدف المؤلف ، وهنا يأتي الإطار والخطة وسيلة مساعدة لتحقيق الهدف المذكور .

ولكي نحدد دور الإطار والخطة فى ذلك يحسن أن نعود ثانية إلى العلاقــة بين الرسم الهندسي والبناء ، لعلك تستطيع أن تتصور الوقت أو الجهد الذى تبذلــه فى محاولــة الإلمام بتفاصيل مبنى مثل مبنى الكلية التى تــدرس بهــا ، أو مبنى إدارة الجامعة ورؤيــة العلاقة الهندسية بين أجزاء المبنى الواحد بحيث يحقق الغرض منه ، لاشك أنك بعد التجول فى أرجاء المبنى وأخذ القياسات ، ومواقع الأقسام من بعضها ، ستخرج بصورة غير متكاملة للمبنى ، قد تنسى بعض أجزائه ، قد تنسى بعض العوامل المهمة عند تصميم المبنى ، أما إذا نظرت إلى الرسم الهندسي للمبنى نفسه فإنك تستطيع استيعابه بتفاصيله وعلاقة كل قسم منه الآخر من حيث التناسب والــتكامل ، وإذا كنــت على قدر من الدراية بأمور المعمار ، فيمكنك مناقشــة المهــندس ســواء أكنت مستحسنا أو مستقبحاً ، وهذا هو ما تســتطيع تحقــيقه أيضــا فى مناهجك الدراسية مع فارق بسيط وهو أن المؤلف لا يذكر الإطار والخطة اللتين وضعهما أمامه وهو يكتب مقاله أو الفصل فى كتابــه ، وهنا ، عليك أنت أن تضع هذه الخطة وتستخلصها من خلال قراءتك المتأنية للمقال أو الفصل .

وضع الإطار والخطة .

استعلمنا فى الصفحات السابقة اصطلاح الإطار والخطة وكلاهما يعنى بناء المقال أى أن كلا منهما يعنى بطريقة تساعد فى ترتيب الأفكار وعرضــها بحيث يتحقق الهدف أو الغرض من المقال ، وسنعرض فى إيجاز للإطار مع إيراد بعض الأمثلة التى توضح ما نقصد إليــه .

والواقـــع أن الإطار يناسب المقالات ، والإجابة فى الامتحانات والأحاديـــث المرتجلة ، ونحو ذلك فى الموضوعات التى تعتمد ـــ عادة ـــ عـــلى الوصف أو السرد أو الشرح أو التحليل ، وأبسط طريقة لوضع إطار لواحد من هذه الموضوعات هي أن تكتب خمس جمل تامة مختلفة عن هـــذا الموضوع ، مثر ، ثم تجعل كل جملة منها فكرة رئيسة لفقرة مستقلة وتنميها فى جمل تامة مستعيناً بالشرح والتفصيل والتمثيل ، وهكذا تخرج بمقال قصير عن الأحجـــار مثلا يتكون من فقرات متكاملة مترابطة .

مثال : الأحجـــار .

الفقرة الأولى : الأحجار عنصر مهم من العناصر الطبيعية التى يـــتعرف علـــيها الإنسان منذ سنواته الأولى فى الحياة ، ولكن هل توقف الإنسان لحظة أمامها ليتدبر قدرة الخالق وحكمته التى تتجلى فيها ؟ لقد جعـــلها الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ متفاوتة فى الصلابة فمنها الصلب الذى لا ينكســـر ، ومنها الهش الذى يفتته الطفل بأصبعه ، كما خلقها الله ـــ عز وجل ـــ فى ألوان مختلفة حتى ليصعب على الإنسان أحيانا تحديد لونها وهـــي تـــتفاوت تفاوتاً كبيراً فى قيمتها ، فمنها ما يباع الكومة بدراهم معـــدودة ، ومنها ما تباع ذراته بدنانير عدة ، وجعل الله لكل منها نفعاً وفائدة خصه بها فلا تستطيع استخدام نوع مكان نوع آخر .

الفقرة الثانية : فهي تختلف فى صلابتها ، منها الصلب الذى لا يسهل كسره أو التأثير فيه إلا بمشقة كالجرانيت والماس ..

الفقرة الثالثة : أما ألوانها فقد تعدد واختلطت ، منها الأخضر اليانع كالزمرد والأسود الفاحم كالفحم .

الفقرة الرابعة : كما أننا قد نمر على كتلة هائلة من الحجر فلا نلتفـــت إليها ، بل قد تكلفنا المال لإزالتها من الطريق ، وهناك ما يقتتل الناس فى سبيل قطعة ضئيلة منه ..

الفقرة الخامسة : ومع ذلك ، فالإنسان لا يستغني عن الحجر سواء كان رخيصاً أو ثميناً ، هشاً أو صلباً ، أحمر أو أسود ، وما خلق الله شـــيئا بـــلا نفع ، وقد خص كلا منها بمنفعة ، ألا ترى أنك لا تستطيع استخدام الجرانيت فى مكان الحجر الجيري مثلا ؟

الفقـــرة السادسة : وهكذا تتجلى قدرة الله ــ سبحانه وتعالى ــ فى خلقـــه ، فقد جعل للإنسان آيات بينات من حولـــه ليقف عندها مـــتدبرا ، فهـــذه الأحجار قد تفاوتت حجما ولونا وقوة وقيمة ومنفعة سبحانك ما خلقت هذا باطلا .

إذا نظرت إلى المقال السابق ، والمقالات التى تتناول موضوعات متشابهة تجد أنها تتكون عادة ، من ثلاثة أقسام رئيسة : المقدمة ، العرض أو المناقشة ، الخاتمة ، أما المقدمة فهي تميل فى الغالب إلى القصر ، وقد لا تستغرق أكثر من فقرة واحدة ، ويمكن بناؤها على الوجه التالي :

أ ــ تـــبدأ بجملـــة أو جملـــتين افتتاحية لجذب انتباه القارئ إلى الموضوع وتركيز انتباهه على الهدف من المقـــال .

ب ـــ تتلوها جملة أو جملتان لتحديد هدف المقال .

ج ـــ ثم تنتهي المقدمة بجملة أو جملتين يحدد فيهما مجال المقال ويكون ذلك تمهيداً للجزء الثاني منه ، وهو العرض .

أما العرض ، فيمثل الجزء الأكبر من المقال ، يتناول الكاتب فيه المشكلة بالشرح والتحليل والتمثيل حتى يصل بهدفه إلى ذهن القارئ ، وهذا القسم يحتل ثلثي حجم المقال تقريباً ، ويجب أن نتذكر أنه لا مجال للتعميم فى هذا القسم ، بل لابد من التوضيح والتمثيل لكل عنصر من العناصر التى أجملت فى المقدمة ويختص كل عنصر بفقرة خاصة .

وأما الخاتمة فتأتى فى نهاية المقال ، وهي تميل ـــ مثل المقدمة ـــ إلى الإيجاز ، وقد يكتفي فيها بفقرة واحدة ، فيها يلخص الكاتب هدف المقال ، والنتيجة التى وصل إليها .

ذلك ما نعنيه بالإطار فى المقال القصير الذى قدمناه لك ويمكن رسمه على النحو الآتى :

العنوان : يشير فى وضوح إلى مضمون المقال .

الفقرة (١) : مقدمة تثير انتباه القارئ ، وتحدد هدف المقال ، وتمهد للقسم التالي منه .

الفقرات (٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥) : انتقال من التعميم إلى التخصيص عن طريق الشرح المفصل وإعطاء أمثلة توضيحية لما أجمل فى المقدمة .

وقد اختصت كل فقرة بعنصر واحد .

الفقـــرة (٦) : تلخـــيص للنتيجة التى توصل إليها المقال وتأكيد هدفـــه .

وقـــد يختلف طول الأجزاء تبعاً لطبيعة المقال ، كأن تحتل المقدمة أو الخاتمة فقرتين بدلا من فقرة واحدة ، ومع ذلك ، علينا أن نحافظ على التناســـب بـــين الأجزاء الثلاثة ، فلا تطغى المقدمة أو الخاتمة على الجزء الأوسط الخاص بالمناقشة والعرض .

والمقال التالي يتكون من سبع فقرات ، تحتل منها المقدمة فقرتين ويمكن رؤية إطاره على الصورة التاليـــة :

العنوان : يشير إلى مضمون المقال ويدور حول العلاقة بين خطط التنمية ووعي المواطن .

الفقـــرة (١) : تعـــرض فى إيجـــاز للتنمية وخططها ومشاريعها والهدف منها .

الفقـــرة (٢) : عدم وعي المواطن يحول بينه وبين الإفادة المرجوة من هذه الخطط والمشاريع .

الفقـــرات، (٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦) : نمـــاذج توضح عدم استفادة المواطـــن على الوجه الأمثل من الخطط ومشروعات التنمية نتيجة لعدم وعيه الكافي .

الفقـــرة (٧) : تلخيص وتأكيد للعلاقة الوثيقة بين التنمية ووعي المواطن .

مثال آخر : التنمية ووعي المواطن .

الفقـــرة الأولى : مـــن الحقائق التى نعيشها الآن أن الدولة تأخذ بأســـباب التقدم والنهوض ، فى كل مرافق الحياة ، فى إطار خطة شاملة للتنمـــية ، وهـــي تهدف إلى تنمية العلاقات والروابط الاجتماعية القائمة على أساس من ديننا الحنيف ، وذلك لرفع مستوى الخدمات التى تريد بها الدولـــة تـــأمين الفرد فى يومه وغده ، ورفع مستويات المواطنين الثقافية والصحية والاجتماعية ، وزيادة قدراتهم على تفهم مشكلاتهم والتجاوب مـــع واقعهم الاجتماعي فى محاولة بناءة لحثهم على التعاون والتضامن من أجل الوصول إلى حياة أفضل ، والدولة تحرص على زيادة دخل الفرد ، وتنظـــيم اســـتهلاكه ، وتهيـــئة فرص متكافئة من الخدمات الاجتماعية للمواطنين ، وهي بذلك تحقق عدالة فى التوزيع للدخل ، وتحاول اختصار الزمن فى النقلة المدنية المتطورة .

الفقـــرة الثانـــية : وبـــدلا مـــن أن يقـــبل المواطنون على هذه المشروعات بالإفادة الجدية لتحقيق هذه الأهداف نجد كثيراً من السلبيات تكـــاد تظهـــر فى كـــل مرفق من مرافق الدولة أو مشروع تنمية فيها ، ولاشك أن هذه السلبية من جانب المواطن ترجع إلى قلة وعيه ، وموقفه الســـلبي مـــن هذه المشروعات ، إن عدم وعي المواطن بالقدر الكافي لا

يمكـــنه من الإفادة المحققة من هذه المشروعات والخدمات التى تنفق عليها الدولة الأموال الطائلة ، وهذا واضح أمام أعيننا فى أكثر من مجال .

الفقـــرة الثالثة : ففي مجال الخدمات الطبية ، نجد أن الدولة قد أنشـــأت وتنشئ المستشفيات المتطورة والمزودة بأحدث الإمكانات المادية والبشـــرية لعلاج المواطنين ووقايتهم من الأمراض ، إلا أن ضآلة الوعي لا تمكـــن المواطـــنين من الإفادة المثلى من هذه الخدمات الطبية ، فقد لا يتوجه المريض إلى المستشفى إلا فى مرحلة متأخرة من المرض ، وإذا توجه إلى المستشفى ، وعولج فإنه ـــ فى الكثير الغالب ـــ لا يواظب على إتمام العـــلاج ، بـــل يترك الأدوية بعد ظهور أول بادرة تحسن وبذلك تتبدد جهود الدولة دون فائدة ، وهناك كثير من المواطنين يتوجهون للعلاج فى الخـــارج ، ويـــنفقون الأمـــوال الطائلـــة بحثا عن علاج متوفر غالبا فى مستشفياتنا .

الفقرة الرابعة : مثال آخر لقد عممت الدولة الهواتف العامة فى أغلـــب شـــوارع المـــدن ، ولأن الهاتف أصبح وسيلة سريعة من وسائل الاتصـــال ، حيث يستدعى عن طريقه طبيب لإسعاف مريض أو يتصل بمســـئولي الدفـــاع المـــدني لإخماد حريق أو لأمور كثيرة أخرى ، صحية واجتماعـــية واقتصـــادية ، ولكـــن تعرضت هذه الهواتف لعبث الصبية فتهشمت وتعطلت ، ذلك لأن الناس فوجئوا بها بين عشية وضحاها دون توعـــية بطـــريقة تشغيلها ، وضرورة الحرص عليها حتى يعم نفعها على أحسن وجـــه .

الفقرة الخامسة : ومشروع النقل الجماعي مثال ثالث لمشروعات الخدمـــات العامـــة التي تحقق النفع العام ، فهو يهدف إلى تسهيل انتقال المواطـــنين ومساعدة الذين لا يملكون سيارات خاصة ، وينفقون الكثير عـــلى ســـيارات الأجـــرة ، وهنا تقع أيضا مجموعة من الأخطاء ، منها الاحتكاك المتبادل بين الركاب والعاملين فيها ، والدخول فى مجادلات لا مـــبرر لها ، وتمزيق المقاعد وإتلاف أزرار التنبيه والاستهتار فى استخدامها مـــع مخالفـــة تعليمات الركوب فى الصعود والنزول ، ولاشك أن سبب هذا يعود إلى عدم توعية المواطن بقيمة هذا المرفق العام .

الفقرة السادسة : كذلك ، من المعروف أن الموارد المائية محدودة وأن الدولـــة تنفق الأموال الطائلة فى تنقيتها وتحليتها للاستخدام البشري وتحرص على تنظيم توزيعها وحسن استهلاكها ، إلا أنه نتيجة لعدم وعي المواطـــن بكل هذا يبدوا دائماً غير عابئ بهذه المجهودات فمثلاً يستخدم هذه المياه الثمينة فى غسل الدرج والسيارات ، ويهمل فى إصلاح التالف مـــن صـــنابير المياه وتوصيلاتها داخل بيته مما يضيع قدراً كبيراً من المياه النقية فى غير موضعها .

الفقرة السابعة : وهناك أمثلة أخرى كثيرة تجعلنا نرى كيف أن عدم توعية المواطنين بمشروعات التنمية والخدمات العامة يمثل عقبة كبيرة أمـــام التغـــيير والـــتطوير ، وأن توعـــية المواطنين وتثقيفهم يؤديان إلى مشـــاركتهم الإيجابية مع الدولة فى تحقيق الهدف المرجو وهو رفع مستوى معيشة المواطن .

العناصر التى يقوم المقال عليها (*)

يقوم المقال الفني على عناصر تكون إطاره وهيكله العام وهي :

أولاً : المـــادة :

هـــي المعـــارف والأفكار والآراء ، وخلجات النفس والعواطف والوجدانيات ، والتجارب المستفادة من البيئة أو النابعة من داخل النفس والمعلومـــات المختلفة والحقائق المتعددة التى تزخر الحياة بها ، وما خلفته الأجـــيال وســـجله الجيل المعاصر فى مختلف النواحي السياسية والعلمية والفلسفية .

يبعث هذا كله فى نفس الأديب الانتباه ، وينشأ عن طريق عقله وقلـــبه تـــيار متدفق من الصور الذهنية ، التى تسترعى النفوس ، وتلفت الأنظار ، ويشترط فى عرض مادة المقال أن تكون واضحة لا تناقض فيها بحيث تؤدي إلى نتيجة معقولة ، وإفادة كاملة .

ثانياً : الأفكار :

هي الحقائق التى يستخدمها الكاتب فى مقاله ، ومنها يبنى عمله ، وبها يلجأ إلى إيقاظ العواطف وتأجج المشاعر ، ولذا يلزمه أن يكون ملماً بشـــئون الحـــياة وأحوال الكون ، ونزعات النفس ، وخلجات الفؤاد ،

(*) راجـــع د/ السيد مرسى أبو ذكرى : المقال وتطوره فى الأدب المعاصر ، ص ٦٩ وما بعدها ، دار المعارف .

وطبائع الناس ، وما يدور فى المجتمع من عادات وتقاليد وقيم ، وكلما كان الكاتب واسع التجارب ، محيطاً بالمعارف العامة ، والقضايا الفكرية أو النظريات المعروفة يكون إنتاجه نافعاً ، وله قوته وتأثيره ، ولا سيما إذا توفر فيه الوضوح والدقة ، واقترن بوجدان عميق ، وخيال مرهف ، وأداء حسن ، وأسلوب رفيع ، ويشترط فى الأفكار ترتيبها وتسلسلها ويجب أن تكون كل فكرة نتيجة لما بعدها ، ومقدمة لما بعدها ، حتى تنتهي كلها إلى غاية مطلوبة وهدف معلوم .

ثالثاً : الأسلوب :

حين يفكر الكاتب فى التعبير عن فكرة تعن له ، أو رأي يشغله أو قصد يتجه إليه ، يكون أمام تيار متدفق من المعاني أو الحقائق أو الخواطر أو الوجدانيات والعواطف التى تجيش فى نفسه ، وتسبح جزيئاتها فى عقله وقلبه ، ولا وسيلة له سوى الأسلوب فى جمع هذه الجزيئات وتنظيمها ونقلها إلى القارئ أو السامع .

وبذلك يكون الأسلوب الغالب الذى يصور الأديب فيها أفكاره وخواطره وعاطفته ، والمنهاج الذى يفصح به عما فى نفسه ، والطابع الذى تطبع به كتاباته ، ويتسم به إنتاجه ، ويشترط فيه أن يكون سهلا ودقيقا فى عرض المقال الموضوعي ، غنياً بالصور الجذابة ، والعبارات العذبة فى المقال الذاتي .

الخطة التى يتألف المقال منها :

يـــتألف المقال من خطة تحكم عناصره ، وتنسق مادته ، وتربط أفكاره بعضها ببعض ، وتوائم بين حقائقه فى أسلوب رائق ، وتعبير فائق وتعتمد هذه الخطة على أمور ثلاثة هي :

أولاً / المقدمة :

تـــتألف مـــن معارف ومسلمات لا ينكرها القراء أو يعترضون علـــيها ، والغـــرض مـــنها التمهيد للموضوع الذى يتناول ، حتى تتهيأ الـــنفوس لتقلبه ، ويجب أن تكون موجزة وفيها جدة ، وتلائم موضوعها كـــيفا وكمـــا ، وتتصل به اتصالا مباشراً ، مع ضرورة أن تصاغ بألفاظ ســـهلة جذابـــة ، وعـــبارات فخمة ، ومعان واضحة ، تشوق القارئ ، وتنشط فكره ، فلا يلحقه سأم ، أو يصيبه فتور قبل أن يأتى الموضوع .

ثانياً / العرض :

يلي المقدمة ، ويشتمل على عناصر الموضوع الرئيسية التى يسعى الكاتب إلى شرحها لقرائـــه ، ولابد فيه من وحدة الموضوع ، لأن تعدده يشـــتت جهـــد الكاتب والقارئ معاً ، فتضيع فرصة التركيز عليهما ، ويضـــعف الأمـــل فى الاقتناع والتأثير . ويلزم فى العرض ترتيب أجزاء الموضـــوع ، بحيـــث يتصل كل جزء بما قبله ، ويمهد لما بعده ، مع توفر الدقة والوضوح ، ويأتى مقنعاً ومقبولاً وواقعياً مؤيداً بالبراهين ، ومدعما بالحجج ، وبذا يتيح فرصة النهم ، ولذة التتبع لدى السامعين التى تنتهي

بتحقيق الغرض المنشود .

ثالثاً / الخاتمة :

هي الثمرة المرجوة ، والنتيجة التى وصل الكاتب إليها بناء على براهينه التى أوردها فى موضوعه ، وتبدو أهمية الخاتمة حين يطول الكلام فى الموضوع ، فتكون بمثابة تلخيص له ، ولها أهمية أخرى فى أنها نهاية قول الكاتب ، وآخر ما يطرق آذان القراء ، فتكون الفرصة الأخيرة لاجتذاب العواطف ، وتعمق المعنى فى الأذهان ، ولا يتم ذلك إلا بتوفر الدقة والإيجاز ، والاكتفاء بأهم ما تناولته ، بحيث تكون قصيرة وقوية وصدى لما تقدم فى الموضوع .

ويحدثنا أحمد الشايب عن الخطة التى يتألف منها فيقول : " أما خطة المقالة فهي أسلوبها المعنوي من حيث تقسيمه ، وترتيبه لتكون قضاياه متواصلة ، بحيث تكون كل قضية نتيجة لما قبلها ، مقدمة لما بعدها حتى تنتهي إلى الغاية المقصودة ، وهذه الخطة تقوم على المقدمة والعرض والختام ، فالمقدمة تتألف من معارف مسلم بها لدى القراء ، قصيرة متصلة بالموضوع معينة على ما تعد النفس له ، وما تثير فيها من معارف تتصل به ، والعرض – أو صلب الموضوع – هو النقط الرئيسية أو الطريقة التى يؤديها الكاتب سواء انتهت إلى نتيجة واحدة ، أم إلى عدة نتائج هي فى الواقع متصلة معاً ، وخاصة لفكرة رئيسية واحدة ، ويكون العرض منطقيا مقدماً الأهم على المهم ، مؤيداً بالبراهين ، قصير القصص أو الوصف أو الاقتباس ، متجها إلى الخاتمة لأنها منارة الذى يقصده ،

والخاتمـــة هي ثمرة المقالة وعندها يكون السكوت ، فلابد أن تكون نتيجة طبيعية للمقدمة ، والعرض ، واضحة صريحة ، ملخصة للعناصر الرئيسية المراد إثباتها ، جازمة تدل على اقتناع ويقين ، لا تحتاج إلى شئ أخر لم يرد فى المقالـــة " . [١]

والمـــثال الحي على الخطة المحكمة والعناصر المترابطة للمقال ، ما كتبته " ملك عبد العزيز " عن " قضية الشعر الجديد ، فقد لمحت الكاتبة فى المقدمـــة إلى موقف " شيوخ الأدباء " من الجيل اللاحق بهم ، ثم نجدها فى العرض تحلل تعصب هؤلاء الأدباء للقديم وتجاهلهم تطورات العصر ، ثم أشـــارت إلى متطلبات العصر التى يجب أن يحس الأدباء بها ، وهذا ما أغفلـــه الأدبـــاء المتعصبون للقديم ، وتمضي الكتابة فى توضيح الأساليب الـــتى سلكها الشعراء المجددون مستعينة بالأدلة والبراهين ، فذكرت أن هـــناك : " الـــنغم الصامت العتي " و " النغم العذب الرقيق " و " النغم الوادع المهموس " .

وتخـــم الكاتـــبة مقالها قائلة : " وأخيراً فللشعر الجديد روائعه وســـقطاته ، وكـــل مـــا ترجوه ممن يهاجمونه أو ينكرونه من الشيوخ أن يدركـــوا أنه كتب لجيل غير جيلهم تأثر أو انفعل به هم أو أغفلوه ، فإذا نظـــروا إليه بتلك العين تبقى ثمة خصومة بين الشباب والشيوخ ، ومن ثم جـــاءت الخاتمـــة نتـــيجة طبيعية تقوم على الوضوح ، وتتسم بالشمول والتركيز .

---

(١) راجع : الأسلوب ص ٩٤ وما بعدها ، طبعة ١٩٧٦م .

الفصل الرابع

أنواع المقـــــال (*)

أولاً : بالنسبة للشكل الفني

ونتوقف قليلا مع القسم الثاني من المقال إذ أنه يمثل صلبه والجزء المهم فيه .

إن المقالات التى تتناول مثل هذه الموضوعات المباشرة والقصيرة لا تخرج فى العادة ، عن كونها موضوعات وصفية أو سردية أو توضيحية أو تحليليـــة .

١ــ المقال الوصفي أو السردي .

الهدف من المقال الوصفي أو السردي هو إعطاء صورة واضحة ومفصـــلة لمكـــان رأه الكاتـــب أو حادث شاهده ، ولتحقيق مثل هذين الهدفـــين ، ينـــبغي أن يخصص الكاتب الفقرات المكونة للقسم الثاني من المقال لإعطاء صورة للمكان ، أو سرد لوقائع الحادث ، وطبيعي أن يتابع الكاتـــب فى وصف المكان أو الإنسان أو أى شيء آخر ، حركة عينية ، وفى الحكايـــة يتبع الكاتب الحركة الزمانية ، وفى كلتا الحالتين تختص كل فقرة بزاويـــة من زوايا المكان أو واقعة من الحدث ، بقدر من التفصيل ،

(*) راجع د/ أحمد شوقي رضوان : التحرير العربي ص ١٣٣ وما بعدها . مرجع سابق .

وبذلك يخرج القارئ بصورة واضحـــة للمكان أو الحادث كما لو كان قد شاهده بنفســـه .

غزوة بدر الكبرى

الفقـــرة الأولى : مقدمـــة تثير انتباه القارئ وتحدد موضوع المقال .

كانـــت غزوة بدر التجربة الأولى للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأول معـــركة كـــبيرة فى الإسلام ، كانت أولى مراحل الجهاد الذى خاضـــه الإســـلام ضـــد الشرك ، وكانت المثل الأعلى للإيمان المطلق ، والشـــجاعة الفائقـــة ، والقـــيادة الحكيمة ، وقيم الحرب الأصيلة ، لقد كانت بحق المعركة الفاصلة بين نور الإسلام وظلام الشرك ، فانتشر النور وعم البشرية بضياء العقيدة السمحة .

الفقـــرة الثانـــية : خروج المسلمين من المدينة لتوجيه ضربة عسكرية وسياسية واقتصادية لقريش .

كانـــت بدايـــة المعركة عندما علم الرسول الكريم أن قريشا قد جهزت قافلة كبيرة وضعت فيها جل مالها وأرسلتها إلى الشام تحت قيادة زعيمها المحنك أبي سفيان ، وهنا قرر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ــ بعد استشارة أصحابه ــ الخروج لاعتراضها والاستيلاء عليها ، وبذلك يوجه ضربة عسكرية وسياسية واقتصادية قاصمة إلى مشركي مكة الذين آذوه هو وأصحابه وأخرجوهم من ديارهم وصادروا أموالهم وممتلكاتهم .

الفقرة الثالثة : تجهيز الجيش وتنظيم القيادة .

خــروج الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ من المدينة المنورة عــلى رأس قــوة مؤلفــة من ثلاثمائة وسبعة عشر مقاتلا من المهاجرين والأنصــار ، ومعهم سبعون بعيراً وفرسان فقط ، وعند خروجه ـــ صلى الله علــيه وســلم ـــ رتب الجيش ووزع القيادات : فدفع لواء القيادة العامــة الــتى كان يتولاها بنفسه ، إلى مصعب بن عمير ، وجعل على كتيبة المهاجرين علي بن أبي طالب ، وعلى كتيبة الأنصار سعد بن معاذ ، وأعطــى قــيادة الميمــنة للزبير بن العوام ، والميسرة للمقداد بن عمرو الكــندي ، كما أعطى قيادة الساقة (المؤخرة) لقيس بن أبى صعصعة ، وبذلك خرج جيش المسلمين منظماً يعرف قياداته وواجباته ليخوض أولى معاركــه .

الفقرة الرابعة : استخدام عامل المفاجأة .

ولم يخف على القائد العظيم ما للمفاجأة من أهمية فى تحقيق النصر عــلى العــدو ، ومن ثم أمر جيشه بأن يخرج فى سرية تامة ، وحتى تتم المفاجأة أمر بقطع الأجراس عن أعناق الإبل حتى لا يجذب صليلها انتباه العــدو ، وبمجــرد أن فصل الجيش عن المدينة بث الرسول ـــ صلى الله علــيه وسلم ـــ عيونه هنا وهناك يتقدمون الجيش ويتعرفون على أخبار قافلــة العدو ، وظل يتقدم بجيشه ويستقبل الأخبار حتى وصل قريبا من بدر فنزل بجيشه وعسكر قريبا منها .

الفقـــرة الخامسة : شعور القافلة بالخطر وطلب النجدة من مكة وخروج جيش كبير من قريش .

وعندما اقترب أبو سفيان من مناطق المسلمين بعث بعيونه ليروا مـــا إذا كانـــت هناك تحركات من جانب المسلمين تهدد القافلة ، وعاد عـــيونه يخبرونه بخروج الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وصحبه من المديـــنة قاصدين الإيقاع بالقافلة فأسرع أبو سفيان إلى طلب نجدة عاجلة مـــن مكة لإنقاذ أموالهم وقافلتهم ، وعندما وصل مبعوث أبي سفيان إلى مكـــة أخـــذ يستصرخهم طالبا النجدة لأبي سفيان حتى لا تقع القافلة فى أيدي المسلمين ، انزعجت قريش لهذه الأنباء الخطيرة ، وقررت فى الحال تجهـــيز جـــيش قـــوي ، فاشتركت جميع بطون قريش فى مد هذا الجيش بالرجال والعتاد والمـــال ، وخرج زعماء قريش وصناديدها على رأسه ، فـــبلغ جـــيش قريش ألفاً وثلاثمائة مقاتل بسلاحهم ، ومعهم مائة فرس وسبعمائة بعير .

الفقـــرة السادسة : تطورات مفاجئة ، إفلات القافلة وتقدم الجيش .

وعـــلم أبو سفيان بخروج الجيش من مكة ولكنه كان قد تجنب خطـــر الوقوع فى قبضة المسلمين ، فأرسل إلى قريش يطلب منهم العودة فلم يعد لهم حاجة ، إلا أن الحقد وقوى الشر والغرور كانت قد سيطرت عـــلى قيادة جيش المشركين ، ولا سيما أبا جهل الذى أصر على رفض نصـــيحة أبي سفيان ومواصلة السير إلى بدر حتى يظهر قوة قريش ويزرع

الخــوف فى قلــوب المســلمين والقبائل القاطنة بين مكة والمدينة ، وقد حاولــت بعض القبائل إقناع قادة الجيش بالرجوع فلم تعد هناك حاجة للقتال ، إلا أن أبا جهل ــ وقد أعماه حقده ــ أصر على المضي قدما فى حــين انسحبت قبيلة زهرة عائدة إلى مكة ، وكانوا حوالي ثلاثمائة رجل وتحرك جيش قريش شمالا فى خيلاء متزايد وكبرياء متناه ، آخذا برأي أبي جهل إلى أن اقترب من ماء بدر .

الفقرة السابعة : مثل أعلى فى القيادة والمشورة .

وأمــام هــذا الموقف الحرج يعطي الرسول الكريم المثل الأعلى للقــيادة الرشــيدة ، فلقد وجد أن الموقف قد تغير ، أفلتت القافلة التى خــرجوا للإيقــاع بهــا ، وها هي قريش قد خرجت بقضها وقضيضها ومازالــت تتقدم بالغم من إفلات القافلة ، لم يرض الرسول ــ صلى الله علــيه وسلم ــ أن ينكص عن مواجهة الشرك مهما كان الثمن مقدراً ما يمكــن أن يكون لهذا النكوص من أسوأ الأثر على الإسلام والمسلمين ، ولكن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالرغم من كونه النبي المرسل وبالرغم من كونه القائد الأعلى للجيش قرر ألا ينفرد بالرأي ، بل رأى من الحكمة استشارة قواده ، عرض عليهم الموقف وطلب رأيهم ، فوقف قادة المهاجرين يعلنون تصميمهم على القتال ومواجهة المشركين ، ووقف زعماء الأنصار يعلنون إيمانهم المطلق وعزمهم الأكيد على قتال المشركين مهمــا كــان الفارق فى العدد والعتاد ، هنا اطمأن الرسول ــ صلى الله علــيه وســلم ــ إلى صلابة الموقف والعزم الأكيد فاستبشر خيراً وأمر جيشه باتخاذ الموقع المناسب للمعركة .

الفقرة الثامنة : دور الاستخبارات .

وبدأت الاستخبارات تقوم بدورها فى التجهيز للمعركة ، أرسل الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ نفرا من أصحابه لتقصي أخبار العدو ونتيجة لهذه المهمة أمكن تحديد عدد جيش العدو ، وتقدير قوته ، ومعرفة مكان معسكره ، وشخصيات قواده ، وبذلك تكونت لدى قادة المسلمين صورة مفصلة عن العدو ، وفى المقابل كان العدو يقوم باستخباراته أيضا فأرسل أحد المقاتلين الذى دار حول جيش المسلمين ، وعاد إلى قادته بالأخبار ، وبذلك تجهز الجيشان للقاء الفاصل .

الفقرة التاسعة : بدء المعركة .

واشتعل فتيل المعركة عندما تقدم أحد المشركين ليشرب من حوض المسلمين ، فأسرع إليه حمزة بن عبد المطلب ، وعاجله بضربة سيف أطارت ساقه ، وتركته يتخبط فى دمه دون أن يصل الحوض ، وهنا خرج ثلاثة من صناديد قريش وأبرز شجعانهم يطلبون المبارزة ، فخرج إليهم ثلاثة من الصحابة الشجعان ، والتحم الفريقان فى مبارزة فردية ، على عادة المعارك فى القديم ، ولم تلبث المبارزة أن تكشفت عن مصرع الكفار الثلاثة مجندلين بسيوف المسلمين البتارة ، فكانت أول ضربة قاصمة تلقاها جيش المشركين زلزلت من كيانهم ، وحطت من روحهم المعنوية ، وأذلت زهوهم وكبرياءهم .

الفقرة العاشرة : الالتحام ودعاء الرسول ربه .

والتحم الجيشان ، وبدأت المعركة تشتد ، وملأ الغبار المكان واندفع المسلمون يدافعون عن عقيدتهم ترتفع حناجرهم بالتكبير لله الواحد الصمد ، ووقف الرسول — صلى الله عليه وسلم — يراقب المعركة من مقر قيادته ، رأى كثرة المشركين وقلة عدد المسلمين فرفع يده إلى السماء داعيا ربه : " اللهم إنك أنزلت عليّ الكتاب ، وأمرتني بالقتال ، ووعدتني إحدى الطائفتين ، وأنت لا تخاف الميعاد ، اللهم ، هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك ، فنصرك الذى وعدتني " .

ويجيب الله دعاء رسوله ، فيرسل ملائكته تهبط إلى أرض المعركة لتثبت قلوب المسلمين ، وتشد من أزرهم فيزداد المسلمون إيماناً وثباتاً ، ويجتاح الرعب قلوب المشركين فيتساقطون تحت ضربات المسلمين ، ويتشتت جمعهم .

الفقرة الحادية عشرة : نصر مؤزر للمسلمين وهزيمة ساحقة للمشركين .

وبعد قتال مرير ضار شاع الاضطراب فى صفوف المشركين ، وأخذت هذه الصفوف أمام حملات المسلمين العنيفة تتهدم ، واقتربت المعركة من نهايتها فدب الهلع فى نفوس العدو وقد رأوا زعماءهم وقادتهم صرعى على أرض المعركة ، أخذت جموعهم تفر ، وركب المسلمون ظهورهم يأسرون ويقتلون مخلفين سبعين صريعاً ، فى حين استشهد من

المســـلمين أربعة عشر فقط ، وكان أبو جهل من بين القتلى الذى خلفهم الفارون وراءهم .

الفقرة الثانية عشرة : خاتمة تؤكد نتيجة المعركة .

لقد كانت موقعة بدر بحق نصراً مؤزرا للمسلمين أعز الله به دينه ونصـــر رسوله ، وشد من عضد المسلمين ، وأصبحت غزوة بدر الكبرى مثالاً يحتذيه قادة المسلمين فى فتوحاهم التى امتدت شرقاً وغرباً تنشر دين الله وتؤسس دولة الإسلام .

ويحســـن أن نشـــير هنا إلى لونين آخرين من الكتابة الموضوعية يحـــتاج إلـــيهما طالب الكليات العلمية بوجه خاص وهما : وصف الآلة وتاريخ الحالة ، هذان الموضعان يتطلبان قدراً كبيراً من الاهتمام والعناية لارتباطهما بالدراسة العلمية ارتباطا وثيقا .

٢ـــ المقال التوضيحي .

وفـــيه يـــبدأ الكاتب بذكر قضية أو حكم عام فى المقدمة ، كأن يقـــدم نظرية أو مبدأ عاماً حول أمر من الأمور ، وقد يستغرق هذا فقرة أو فقـــرتين ، إلا أن هذا الحكم العام يحتاج إلى عرض وتوضيح ، وذلك بإعطـــاء عـــدد من الأمثلة التوضيحية ، وفى القسم الثاني من المقال يقدم الكاتـــب عددا من هذه الأمثلة التوضيحية التى تعرض الحكم العام الذى قدم من مقاله وتؤيده ، ولعلنا لا نحتاج إلى إعادة المقال الذى أوردناه من

قبل عن " التنمية ووعي المواطن " [١] ، فقد بدأ المقال بنظرية عامة هي أن

" نجاح خطط التنمية يعتمد ، إلى حد كبير ، على مدى وعي المواطن بها "
ولا يصدق هذا الحكم العام بدون إعطاء عدد من الأمثلة توضحه ، وهذا هو ما فعله الكاتب فى القسم الثاني من مقاله ، ارجع مرة أخرى إلى المقال .

وقد يعتمد الكاتب إلى اختيار آخر،وهو أن يذكر عددا من الأمثلة التوضيحية في فقرة واحدة،ثم يختار مثالا واحدا ويخصه بقدر أكبر من التحليل والمناقشة بما يخدم غرضه ، كان يمكن لكتاب هذا المقال نفسه أن يذكر الأمثلة عن الماء ، والنقل الجماعي ، والخدمة الهاتفية في الفقرة الثالثة ثم يتناول عن الخدمات الطبية بالعرض والتفصيل في بقية الفقرات من زواياه المختلفة بحيث يجعل القارئ يحس بالمشكلة ويقتنع بالحكم العام الذي قدم به الكاتب مقاله ، هذا الخيار متروك لتقدير الكاتب .

وهناك وسيلة أخرى قد يستخدمها الكاتب في سبيل توضيحه هدفه ، وهي القياس يقوم الكاتب بقياس ما يتحدث عنه في شيء آخر مألوف لدى القارئ ، كان يقوم طبيب بشرح الجهاز الدوري عند الإنسان ، وهنا قد يجد صعوبة في توضيح ما يقصده للقارئ غير المتخصص ومن ثم يعمد الطبيب إلى قياس الجهاز الدوري بشبكة المياه في المدينة ، مثلا ، من حيث التركيب والأداء والوظيفة،وبذلك يقرب الصورة من القارئ الذي لم يألف مثل هذه الموضوعات الطبية المتخصصة .

---

(١) ص ٨٨ من هذا الكتاب .

وقد يختار الكاتب وسيلة أخرى لتوضيح هدفه ، وهي الاعتماد عـــلى المقارنة ، كأن يقارن الكاتب بين المقابلين إذا كان الكاتب يتناول هدفـــا مثل " تنظيم الوقت عامل أساس في نجاح الإنسان " فإن الكاتب يحتاج إلى إعطاء نماذج توضيحية تؤيد هذا الحكم وتقنع القارئ ، وهنا قد يجـــد الكاتب وسيلته في المقارنة بين ما يحدث لطالبين ، أو مدرسين ، أو تاجرين مثلا ، أحدهما ينظم وقته ، والآخر لا يفعل ، وبهذه المقارنة يكون القـــارئ أكثر تأثرا بالمقال ، لأنه سيدرك ماذا يتحقق لهذا من خير ونجاح في شتى نواحي حياته ، وفي الوقت نفسه يرى ما ينتج بسبب عدم تنظيم الوقت من فوضى وقصور في حياة الإنسان .

٣ ـــ المقال التحليلي :

المقال التحليلي ، وكما يدل الاسم ، يقوم على تحليل الموضوع إلى عناصـــره المخـــتلفة ، ثم يتـــناول الكاتب كل عنصر منها بالعرض والمناقشة في فقرة أو فقرتين إلى أن ينتهي من عرض كل العناصر المكونة للموضـوع ، وقـــد يذكر الكاتب هذه العناصر مجملة في مقدمة المقال ، وقد يكتفي بالإشارة إلى أن الموضوع يتكون من عدة عناصر ، ثم يأخذ في تناولها عنصرا عنصرا ، ولنأخذ المقال التالي نموذجا للمقال التحليلي وهو بعنوان .

شخصيتك :

الفقرة الأولى : تمهيد يثير انتباه القارئ ويركز انتباهه على

موضوع المقال .

يقـــول الـــناس إن فلانـــا " قوي الشخصية " وإن فلانا الآخر " ضعيف الشخصـــية " ، وإن فلانا الثالث " بارز الشخصية " وإن فلانا الرابع " لطـــيف الشخصيات " ، ويقول أحد علماء النفس : " إن فى الدنيا عدداً من الشخصيات يساوى عدد ما فيها من الوجوه " ويقول عالم آخر " إن الشخصية وحدة متميزة " إلى آخر ذلك من الأقوال .

الفقـــرة الثانية : تحديد الهدف المقال وتأثير العناصر المتعددة على قوة الشخصية أو ضعفها .

فمـــا معـــنى الشخصية ، وما مكوناتها ؟ وما صفات الشخصية القويـــة أو الضعيفة ؟ وهل فى الإمكان تقوية الشخصية الضعيفة ؟ وهل للصـــفات الجسدية المختلفة من طول أو قصر ، سمنة أو نحافة ، جمال أو قبح ، أو عاهات جسدية ، علاقة بقوة الشخصية أو ضعفها ؟ باستوائها أو انحـــرافات ؟ وهـــل للطـــبع والعقـــل والعاطفة والسلوك صلة بنوع الشخصـــية أو اتجاهاهـــا ؟ وهـــل للمظاهر المادية ، كاللباس ، وطريقة الحديث ، والمظاهر المعنوية ، كنوعية التفكير ، وطرائق التعبير من أثر فى إعطـــاء الشخصـــية طابعها ؟ كل هذه الأسئلة ـــ وسواها ـــ تطرأ على ذهن الإنسان ، ويبحث لها عن إجابات معقولـــة مقبولة تستند إلى الرأي العلمي والبحث السيكولوجي ، وسنحاول فى كلمتنا هذه أن نجيب عنها بقدر ما يسمح به المقام .

الفقرة الثالثة : تحليل لعنصر المظهر الجسدي .

إن المظهر الجسدي للإنسان ــ كونه طويلا أو قصيرا ، سميناً أو نحيفا ، جميلاً أو قبيحا ، سليما أو مريضا ، سويا أو صاحب عاهة ، عنصر هام من عناصر الشخصية وأهمية هذا العنصر تأتي من أنه يحدد نوع تصرف الناس تجاهه ، وهذا التصرف يحدد بدوره تصرفه هو نحوهم .

ومعنى هذا أن الجسد ليس مهما فى حد ذاته ، لكن أهميته ترجع إلى طريقة نظرة المحيطين به إليه ، فقد اعتاد الناس مثلاً أن ينظروا إلى الطويل الضخم نظرة تختلف عن نظرتهم إلى القصير القميء ، واعتاد الطويل الضخم ــ مقابل ذلك ــ أن ينظر إلى نفسه نظرة مستمدة من نظر الناس إليه ، وهي نظرة اعتداد وثقة ، ولقد درج الناس على التلطف مع الجميل والتجهم للقبيح ــ بقطع النظر عن العوامل الأخرى إذا تساوت ــ واعتاد الجميل تبعاً لذلك أن يعتبر نفسه اعتبارا مختلفاً عن اعتبار القبيح لنفسه ... وهكذا .

الفقرة الرابعة : تحليل لعنصر المظهر المادي .

ومما يتصل بالمظهر الجسدي بعض المظاهر المادية المرافقة له من مثل اللباس والطعام والشراب والمسكن وما إلى ذلك ، فلباس المرء مثلا على صلة وثيقة بشخصيته ، لقد جرى الناس على إضفاء مظاهر الاحترام على صاحب الثياب الأنيقة ــ وإن كانوا يكرهون المبالغة فى التأنق عند الرجال فى الأقل ــ كما جروا على احتقار صاحب الملابس

الرثة ، وإن يكونوا يحترمون دوما صاحب الملابس النظيفة ، وهذا بدوره يعكـــس عـــلى تصرفات الأنيق وغير الأنيق ، ولقد اتخذت الملابس لدى الكـــثيرين دلـــيلا على الشخصية ، فإنه صحيح أيضا أن نوع الملابس ، وطريقة اللبس ، والألوان التى يختارها تدل على شخصيته حتى لقد ألفت بعض الكتب فى " سيكولوجية الملابس " .

الفقرة الخامسة : تحليل لعنصر المظهر الاجتماعي .

ولعـــل المظهر الاجتماعي هو ــ دائما ــ أهم مظاهر الشخصية فأولئك الذين يقولون بأن فلانا " لا شخصية لـــه " يريدون فى الواقع أن يقولـــوا إنهـــم يحلفون به ، أما حين يقولون بأن لفلان الآخر " شخصية قويـــة " فهم يقصدون أنهم يحترمونه أو يهابونه ، وحين يقولون إن لفلان الثالـــث " شخصية ضعيفة " يقدرون أنهم لا يحبونه ، وما التعبيرات من مثل " بروز الشخصية " و " الشخصية الجذابة " إلا إشارة إلى الشخصية الاجتماعية بقطع النظر عن الصفات العلمية الحقيقية للشخصية ، ومهما يكن من أمر فإن الذكاء الاجتماعي وحسن التفاهم مع الناس ، والقدرة على اجتذابهم ، والتعامل معهم وقيادتهم وفرض المحبة والانعطاف عليهم صفات مهمة للشخصية ، وإن يكن من غير المشكوك فيه أن يكون الناس كما قال شاعرنا العربي :

والناس من يلق خيراً قائلون له   ما يشتهي ولأم المخطئ الهبل

بمعـــنى أن الناس يضفون الصفات الحسنة على الإنسان الناجح ويكيلون الاتهامات للذى عثر به حظه ، ومن غير المشكوك فيه ، أيضا ،

أن القــدرة عــلى عقد الصلات الطيبة مع الناس ، وحسن التفاهم مع الأقران مظهر هام من مظاهر الشخصية القوية والعكس بالعكس .

الفقرة السادسة : تحليل لعنصر التفكير .

ثم إن طــريقة تفكير المرء ، ونوع الأحكام التى يطلقها ، ومقدار انتــباهه ، ومقــدار ذكائه ، قوة ذاكرتــه ، وسواها من الأمور العقلية مظاهر هامة من مظاهر شخصيته ، إن فى الناس من يعمل النظر فى أموره ويحــاكم مــا يعرض له محاكمة هادئة متزنة ، يوازن بين ماله وما عليه ، ويقايس بين ما يمكن ومالا يمكن ، ويتنبه إلى كل شاردة وواردة ، ويحفظ التفاصيل وينفذ إلى صميم الأمور ، كما أن فيهم من لا يصبر على النظر فى أمــر ، ويــبادر إلى إطــلاق الأحكام الجازفة ، ويحكم بعين عاطفته ومصــلحته لا بعين عقله وحكمته ، ولا ينتبه إلا إلى المظاهر السطحية ، ولا يقــارن بين ما للقضية وما عليها ، وليس هذا فحسب ، بل إن بعض الــناس أيضــا يجعلون العقل هاديا لهم وحكما فى أمورهم ، وفيهم من يوازن ويحكم .

الفقرة السابعة : تحليل لعنصر العاطفة .

إذا كــان للعقل مكانة فى التكوين الشخصي فإن للعاطفة قيمتها فى هــذا التكوين ، إن فى الناس العطوف الحنون ، وفيهم قاسي القلب ، جــامد العاطفــة كثير الصياح ، وفيهم الهادئ الذى لا يعلو له صوت ، فــيهم الخجــول الذى يميل إلى الانطواء والاختفاء ، كما أن فيهم المحب للــناس المقــبل على الحياة ، فيهم الجبان الرعديد الذى يطير لبه شعاعاً

لأتفه الأسباب ويهلع قبله من أضعف الحشرات ، وفيهم الشجاع المقدام الـــذى لا يهاب ولا يحسب للأخطار حسابا ، وكل هذه الصفات مهمة مـــن صـــفات الشخصـــية التى لا يستطيع أن تحكم على شخصيتك أو شخصـــية سواك إلا إذا حسبت لها حسابا ، وأقمت لها وزنا ، والحق أن الناس يعلقون على هذه المظاهر العاطفية أهمية بالغة ، وهم فى هذا محقون ذلـــك لأن العاطفـــة مـــرآة النفس ، وصورة الطبع ، وبدونها لا تقوم شخصية ولا تتضح هوية .

الفقرة الثامنة : تحليل لعنصر الطبع .

ومـــا يتصـــل بالشخصـــية أوثق الاتصال ، ويدل عليها أصرح الدلالـــة طبع الإنسان وخلقه ، وإذا كان المجال لا يتسع هاهنا للحديث المفصـــل عـــن الطبع ومكوناته ومقوماته وأشكالـــه ، والدراسات التى أجريـــت عليه ، فلا أقل من أن نشير إلى أن علماء النفس يعدون الطبع " واجهـــة الشخصية " . والدراسات التى أجريت على الطباع كثيرة ، ولقـــد اهـــتم بهـــا الناس منذ القديم ، وتنبهوا منذ ذاك إلى صلة الطبع بالجسد ، وصلته بالظروف والبيئة ، وأشاروا إلى ثباته وتغيره ، ولعل من أهـــم هذه الدراسات دراسة العالم يونغ ، الذى قسم الطباع إلى قسمين رئيســـين همـــا المنبسط والإنطوائي ، ودراسة كرتشمر **kretchmer** الـــذى ربـــط بـــين الجسد والطبع ، وكذلك فعل شلدن **Sheldon** والذى يهمنا فى مقامنا هذا هو أن نقرر أن طبع الإنسان ، كونه بخيلا أو كريما وقحا أو خجولا ، منعزلا أو محبا للحياة مقبلا عليها أو زاهداً فيها ، حسوداً حقوداً أو متسامحاً واسع النفس ، مسرفاً مبذراً أو مدبراً عاقلا

نقـــول إن كون الإنسان هذا أو ذاك يوضح شخصيته ، ويظهر نفسيته ، ويدل على هويتـــه .

الفقرة التاسعة : تحليل لعنصر السلوك .

وأخـــيراً فـــإن تصـــرفات الإنســـان وأفعالـــه هي الحكم على شخصيته والدليل على نفسيته ، والمظهر الواضح لعقليته وقديما قيل " إن للأفعـــال صوتا أعلى من صوت الأقوال " ، والواقع أن الناس يحكمون عـــلى الإنسان بأفعالـــه وتصرفاته ويصنفونه بسلوكه وأعماله ، ومهما تكـــن دوافعه ونواياه فإن أفعالـــه هي التى تدل عليه ، وتظهره بالمظهر الذى يحفظه الناس عنه ، وبدهي أن سلوك الإنسان متصل أشد الاتصال بمـــا قدمـــنا من مظاهر وصفات ، فهو على صلة بجسده وعقله وعاطفته وطبعـــه .

وبدهي ، كذلك ، أن للنوايا قيمتها ، وأن للأقوال دلالاتها وأن للأقـــدار والظـــروف وأحكامهـــا ، ولكن الأفعال تبقى متمتعة بالأهمية العظمى ، وذلك لأن لها قوة الواقع الملموس ومن هنا كانت أهمية الأفعال فى الدلالـــة عـــلى شخصية الفرد ، وقيمة السلوك فى الحكم على صفاته الشخصية ومزاياه الفردية .

الفقرة العاشرة : خاتمة .

والخـــلاصـــة إن الشخصية تتأثر بالبنية الجسدية للفرد وظروفه المحـــيطة به ، وبهذا المعنى تكون الشخصية محكومة إلى حد بعيد ، ولكن الإنسان يتميز عن سائر المخلوقات بالإرادة .

ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن الشخصية البشرية لا تستكمل نموها ، ولا تبلغ ذروة هذا النمو ، إلا بالتحـــدي الدائم لذاتها ، والعمل الدائب على إصـــلاح عيوبهـــا .

تابع أنواع المقال (*)

ينبع المقال من رغبة الكاتب فيما يعبر عنه من تأملات فى الحياة والناس ، ونظرا لتنوع التجارب الإنسانية يتميز كل كاتب بطابع معين ، وقسمات فارقة ، ويتنوع المقال تبعاً لموقف الكاتب من الموضوع الذى يعالجه ، والأسلوب الذى يتبعه .

ثانياً : المقال بالنسبة لموقف الكاتب :

يكون المقال بالنسبة لموقف الكاتب ذاتيا أو موضوعيا ، وقد يكون موضوعيا ذاتيا ، ويفرق بينهما بأن المقال الذاتي تبدو فيه شخصية الكاتب واضحة ، ويفيض أسلوبه بالعاطفة ، ويستند إلى الصور الخيالية ، أما المقال الموضوعي فالكاتب فيه يجلو موضوعاً معيناً ، ويقوم على تصميم محكم ، وتنسيق بديع ، ويخلو أسلوبه من الحشو والاستطراد ، ويعتمد على المصطلحات مع ضرورة المحافظة على بنائه القائم على المقدمات والعرض والنتائج .

١ـ المقال الذاتي :

هو المعبر عن عواطف الكاتب ، والمصور لانفعالاته الصادقة عن ذات نفسه أمام خاطرة عابرة ، أو مشهد مؤثر ، أو حدث وقع ، وتبرز شخصيته من خلال أفكاره الممزوجة بمشاعره المتأججة ، معبراً عنها

(*) راجع د/ السيد مرسي أبو ذكرى : المقال وتطوره فى الأدب المعاصر ، ص ٧٣ وما بعدها ـ دار المعارف .

بأسلوب رائق ، ولفظ فائق ، وخيال خصب ، وبيان رائع ، ومعان دقيقة وأنواعه هي :

١ــ المقال الشخصي :

هــو المعــبر عن تجارب الكاتب الخاصة ، وانعكاسات الحياة فى نفسه .

وهــو لــون من الحديث الشخصي ، والمسامرة اللطيفة ، ويمتاز بــتألق الفكاهــة ، ووضوح السخرية التى تكشف عن اتجاهات الكاتب وألــوان شخصيته ، وأبرز كتاب هذا اللون : محمد السباعي ، وإبراهيم عبد القادر المازني ، وأحمد أمين ، ومي زيادة ، وميخائيل نعيمه .

المقالــة الاجتماعية

هى التى تعالج مشكلة من المشاكل الاجتماعية ، وتنقد العادات السيئة والتقاليد الضارة ، وتنفر مما هو ضار ، وترغب فى النافع المفيد [١] أى أن " موضــوعاتها تتناول المفاسد الاجتماعية التى تنخر فى جسم الأمة وتعــيق خطواتــه عن الانطلاق فى مضمار التقدم وبناء المجتمع السليم ، كالفقر ، والجهل والمرض ، والعادات الاجتماعية السيئة " . [٢]

---

(١) راجــع د/ الســيد مرســى أبو ذكرى : المقال وتطوره فى الأدب المعاصر ص ٧٤ ــ دار المعارف ــ ١٩٨٢م .

(٢) راجع د/ عمر الدقاق وآخرين : ملامح النثر والفنون ــ دار الأوزاعي ــ الطبعة الأولى ــ سنة ١٩٩٧م .

ودور الكـــتاب فى هـــذا اللون من المقالات هو " المشاركة فيما يدور حولهم على طريقة تقوم الملاحظة الدقيقة والعمق والتأمل فيما يحيط بهـــم ، والاتزان فى الحكم ، والبراعة فى التهكم والسخرية من العادات التى تضر المجتمع " . [1]

وقـــد عـــالج الـــزيات فى مقالاتـــه كثيراً من مشكلات عصره الاجتماعـــية توضـــح موقفه منها ، ورغبته الصادقة فى إصلاح الأوضاع الاجتماعية التى يعيشها مجتمعـــه .

وفى كتابـــيه " وحـــي الرسالة " و " ضوء الرسالة " اللذين جمع فـــيهما مقالاتـــه التى كتبها فى مجلته " الرسالة " والتى كتبها فى الصحف والمجلات الأخرى بعد إغلاق " الرسالة " فى هذين الكتابين جمع غفير من مقالاتـــه الأجتماعـــية التى تدعو إلى إعادة بناء المجتمع ، وإصلاح الخلل ونقد العادات السيئة والسلوكيات الضارة .

ففي وحي الرسالة كتب تحت عنوان " ليت للأوقاف عينا " [2] عـــن رجل له أربع بنات وثلاثة بنين وزوجة وأم ، يعيشون تحت جناحيه عيشـــة هنيئة ثم أصابه مرض السكر ، وصرفت زوجته كل ما يملكون فى علاجـــه دون جـــدوى ، ونفد المال ، ومكافأة وزارة المعارف ، وانفض الإخـــوان من حول هذه الزوجة وأولادها وتبدل الحال من السعادة إلى

---

(١) د/ السيد مرسى أبو ذكرى : المقال وتطوره فى الأدب المعاصر ، ص ٧٤ .

(٢) أحمد حسن الزيات : وحي الرسالة ١ / ٤٦٦ ـــ دار نهضة مصر ـــ ط ٨ .

الشـــقاء ، ورواح أفـــراد الأسرة يعملون خدماً وباعة صحف ، وفى نهاية المقال يدعو الكاتب الدولة إلى إقامة الركن الخامس من أركان الدين وهو الزكاة لتحقق به أخوة الإسلام ، وتنجلى عن الناس هذه الآثام والآلام ، فيقول :

ليت للأوقاف عيناً !

ليت للأوقاف عيناً تخترق الجدر وتشق الأستار فترى ماذا يصنع الـــبؤس بأهله ! إنها وا أسفا تسمع ولا تبصر : تسمع ذلك البؤس الملح الوقح الذى يغضب ويصخب ويثور ، ثم يقتحم عليها الحجاب والأبواب ومعـــه فوق لسانه الملحف بطاقة من كبير أو وساطة من موظف : وهذا الـــبؤس الـــذى يـــدع لأهله قوة السعي وبراعة الحيلة لا يكون فى أكثر حالاته إلا طمعاً أو حرفـــة .

أمـــا ذلـــك البؤس الدفين الصامت الذى يستعين على ضحاياه بكـــبرياء نفوسهم فيسلبهم الحس والحركة ، ويمنعهم الأنين والشكوى ، فـــلا يراه إلا الله الذى فرض الزكاة وأوجب الرحمة ، وجعل على عباده خليفة منهم ينطق بلسانه ويرى بعينه ويحكم بأمره .

إن فى بعـــض الدور ومن وراء السطور ظلالاً من الحياة الغاربة عـــلى أمـــثال الحـــيال من بني آدم ، تتسم أنفاسهم الضعيفة بما بقى من أرواحهم الخافتة فى إسلام مؤمن واستسلام صابر ، فإذا كشفتهم الحاجة للعـــيون حســـبهم الجاهل أقوياء من الصبر ، أغنياء من التجمل ، حتى

يســـتوفوا أجــلهم المكتوب فتذهب بهم المنون وهم فى وحدة الفقر كما تذهب شمس الصحارى بأنداء الفجر .

كــان لــنا جار فى مدرسة شبرا الثانوية يجثم تحت جناحيه أربع بــنات وثلاثــة بنين وزوجة وأم ، يقلبهم على ما يشتهون من لذاذات العيش الغرير ، فيأكلون أكل السرف ، ويلبسون لباس الترف ، ويلهون لهــو المجانــة ، حــتى كانت غرف البيت من فيض النعيم ومرح العافية كأعشــاش الــبلابل سالمتها الأحداث فى جنة الحب والماء والشجر ، ثم لحظــتها عــين الدهر فأصيب الأب بمرض السكر ، وعقر إصبعه الحذاء ذات يــوم فأصابته قرحة ساعية . [1] ، فنقلوه إلى المستشفى القبطي فبتر الجراح رجله ، وسعت عليه زوجه بالمال والأمل فلم تسطع أن ترد قضاء الله ولا أن تدفع عادى الموت ، وانقلب المترل الفرح المرح النشوان قبراً رهيباً يغشاه الحزن ويجلله السواد وتخيم عليه الوحشة ، فلا زوار يقدمون بالهدايــا ، ولا سمــار يقدمــون بالأنس ، ولا ولائم تشرق فيها النفوس والكئوس كل جمعــة .

وبحثت الزوجة عما خلف الزوج الراحل فلم تجد غير ذلك المال الذى كان تحت يدها وقد أنفقته كله فى العلاج والجنازة ، ونجمت حول بيــتها الحزين رؤوس الدائنين تتدلع ألسنتها بالمطالبة الفاضحة ، ففزعت إلى وزارة المعارف تسألها أن تسرع فى أداء ما لزوجها من الحق ، فأعطتها

---

[1] الفرحة الساعية : وهى التى تمتد من موضع وهي خلاف الواقفة .

بعـــد لأي [١] مكافأته على السنين السبع التى قضاها فى مدارسها ، فقد كان من قبل مدرساً بأحد مجالس المديريات ، فلم يجتمع له الزمن القانوني لاســـتحقاق ورثـــته جزءاً من المال على سبيل المعاش ، وذهب الغرماء بالمكافـــأة ، وبقيت الزوجة وحماتها وبنوها السبعة فى غشية الهم وصدمة الواقـــع يتلمســـون نفساً من الكرب أو شعاعاً من الرجاء يطالعهم من قريب أو صديق فلم ينالوا ، وتذكرت الأم المسكينة أن زوجها كان يعلم ابـــن وزيـــر الـــزراعـــة فلاذت به تسأله أن يساعدها بجاهه على تربية أولادهـــا فى مـــدارس الوزارة فتخلص منها بخمسة جنيهات ثم أغلق من دونها بابه .

كـــان بـــين الزوجين ماتة قرابـــة ، وكانت أسرتهما من الأسر الريفـــية التى ألوى بها الدهر فلم يبق منها إلا عجائز وأيامى يعشن على معونة الأستاذ الفقيد ، وإلا موظف صعلوك فى شركة _ سنجر _ لم تره الأرملـــة إلا يـــوم الجنازة ، وقد حملها هذا الموظف بغروره على أن تنفق خمســـين جنيها على ليلة المأتم ، لأن أقطاب التعليم وأعيان الأدب الذين سيتفضـــلون بالتعزية لا ينبغي أن يمشوا إلا على الطنافس الفارسية ، ولا أن يجلسوا إلا على الكراسي الذهبيـــة !

وكان للفتاة الكبرى خاطب غني من أصحاب أبيها ، فلما وقف عـــلى حـــال الأسرة بعد كاسبها انقطع خبره ، فكأنما غاب معه فى قبر واحـــد! وعجـــزت الأم عن دفع النفقات المدرسية لبنيها وبناتها ، فظلوا

---

(١) جهد ومشقة .

حولها فى البيت يندبون الميت ويبكون الحي ويسدلون على مأساهم الفاجعة ستاراً من الصمت حذر الشامت ، فما كان بابهم ينفتح إلا لتجار الأثاث القديم يخرجون منه بصفقة من الفرش أو المتاع .

ولبثوا على هذه الحال ستة أشهر لم يدفعوا عنها شيئا من كراء المسكن للحاج محمود ، حتى أدركته عليهم شفقة المؤمن ، فنزل لهم عن الدين ونقلهم إلى غرفتين على سطح من سطوح منازله الكثر يسكنونهما من غير أجرة .

وتركنا حي شبرا منذ خمس سنين فلم نعد من حال هذه الأسرة المنكوبة شيئا .

وفى صباح أمس الأول كنت فى ميدان باب الحديد ، فتقدم إلى صبي من باعة من الصحف يحييني ، وهو يبتسم ، فتفرسته فإذا هو إبراهيم أوسط الاخوة الثلاثة ! فصحت به مستطار القلب من دهشة المفاجأة :

ـ إبراهيم ؟ ماذا فعل الله بكم يا مسكين ؟

ـ مرضت أمي بالروماتيزم ، وعميت جدتي من الحزن فلا تسعى وتزوجت أختي الكبرى من أحد السجارة فلم تصبر على عشرته غير ثمانية أشهر فهي تخيط بالأجرة ، وأختي الوسطى تدير المنزل ، وأختاي فلانة وفلانة تخدمان ، وأخواي فلان وفلان يعملان أحدهما صبي كواء والآخر خادم بقال ، وأنا كما ترى ، وكل ما نكسبه جميعاً فى اليوم لا يتجاوز ثمن الخبز !

ألا ليت شعري متى تقيم الحكومة الركن الخامس من أركان الدين وهو الزكاة ، فتتحقق به أخوة الإسلام ، وتنجلي عن الناس هذه الآثام والآلام ؟

٣ـ المقال الانطباعي :

هو الذى يصور انطباعات الكاتب عن أناس عاش معهم ، أو حيوانات وقع نظره عليها ، أو مشاهد اكتشفها ، أو تأثر بعالم جديد لم يؤلف ، وهذا اللون من الكتابة يحتاج لعقل مرن سريع التأثر والتكيف والاستجابة بما يعن له حتى يدرك المعاني التى تكمن وراء ما تقع عينه عليه وأمثلة هذا اللون عديدة فى أدبنا المعاصر مثل : " رحلة " لأحمد أمين [١] و " فى الزورق " للعقاد [٢] و " رغيف وأبريق ماء " و " غدا تنتهي الحرب " لميخائيل نعيمه . [٣]

٤ـ مقال السيرة :

يترجم الكاتب فيه سيرة إنسان حي ، ويعكس مدى تأثره به ، وانطباعه عنه ، والكاتب فيه يعتمد على حسن التنسيق ، وجلال التعبير حتى تبدو الشخصية الموصوفة كأنها تحدثنا ، فتعجب بها إذا راقتنا ، وتنفر منها إذا ساءتنا ، ومن أمثلة هذا اللون فى أدبنا : " شخصية عرفتها "

---

(١) راجع : فيض الخاطر جـ٢ ص ١٠٠ ، جـ٣ ص ١٧٨ .

(٢) راجع الفصول ص ٢٥١ .

(٣) راجع : البيادر ص ١٦٦ ، ١٩٥ .

و " الشيخ مصطفى عبد الرازق " لأحمد أمين [1] و " حافظ " للبشري[2] و " قاسم أمين الفنان " للعقاد [3] " العقاد والمازني " لتيمور . [4]

٥ــ المقال التأملــي :

يصور مشكلات الحياة الخفية ، ويكشف أسرار الكون الدقيقة ، ويعلـــل نوازع النفس البشرية ، بحيث لا يلتزم الكاتب فيه بنهج الفلسفة ونظامها المنطقي ، ويمثل هذا اللون فى أدبنا " ميخائيل نعيمه " فى كتاباته التى تكشف عن روح الشرق ، وتنبه إلى خصائصه الروحية والفكرية .

ومقالاته فى " البيــادر " تعكس هذه المعاني . [5]

ومقالات المرحوم أحمد أمين مثل : " فلسفة المصائب " و " نظرة فى الكون " و " الحظ " . [6]

٦ــ المقال الساخر :

هـــو الـــذى يعـــتمد على التصوير الكاريكاتيري ، ويقوم على التحليل والتوليد ، ويظل كاتبه يقلب الصور ويخرجها واحد بعد أخرى

---

(١) راجع : فيض الخاطر جــ٥ ص ٢٦٥ ، جــ٧ ص ٣١٢ .

(٢) راجع : فى المرآة ص ١١٣ .

(٣) راجع : بين الكتب والناس ص ٣٣٧ .

(٤) راجع : ملامح وغصون ص ٥٤ ، ٩٩ .

(٥) راجع : كتب وشخصيات للمرحوم سيد قطب .

(٦) راجع فيض الخاطر جــ١ ص ١١٧ جــ٣ ص ٣٦ .

فى أشـــكال متبايـــنة ، وأوضاع مختلفة حتى تتناول المعاني التى يمكن أن يحتملها المقام .

وأبرز كتابة : عبد الله النديم ، وحسين شفيق المصري ، وإبراهيم عبد القادر المازني ، وعبد العزيز البشري ، وثروت أباظــة .

وهـــذا نموذجــــا من كتابات عبد العزيز البشرى فى كتابـــه : " المختـــار " عنوان [ابن العم] .

ابن العـــم ! .. [١]

لى صديق مرهف الأعصاب حاضر الغضب ، بقدر ما هو طيب القلـــب خفيف الروح ، فكه الحديث ، لقيته أمس فإذا هو ظاهر الحنق حتى ليكاد يتميز من الغيظ ، فسألتـــه عما به ، فقال اسمع يا سيدي :

لي قريب ثقيل الظل ، غليظ الطبع ، شره النفس ، إذا عرضت له حاجـــة كان أشد إلحاحاً من ذباب ، صبه القدر عليّ أمس فقال لى : إن لى إلى فلان (من كبـــار الموظفين) حاجة (وسماها) ، ولا يشفع لى عـــنده غيرك ، فقم بنا إليه فأردت مطاولتـــه فقلت : سأمضي إليه ، إن شـــاء الله ، فى أول فرصة ، فقال : بل الأمـــر من هذا أعجـــل ، ولابد مـــن ذهابك اليوم ! فقلت : إذن أمضى إليه اليوم بعد أن أعالـــج بعض العمـــل ، قـــال : بل نقوم الآن ، لأن المسألة سيبت فيها غداً ، قلت إذا أمضـــى الآن ، وتهيأت للقيام وأقبلت عليه بتحية الوداع ، فقال : رجلى مـــع رجلـــك ! فانطلقـــنا ، والأمـــر لله ، حتى إذا صرنا إلى باب ذلك الموظـــف ، دفعـــت رقعة الزيارة إلى حاجبـــه ، فقال لى صاحبي : أثبت اسمي مع اسمك حتى أحضر شفاعتك ! قلت أو تتخونني؟ قال : كـــلا! ولكن ليطمئن قلبي !

---

(١) انظـــر المختـــار: ٢ / ١٦٧ و" السياسة " الأسبوعية سنة ١٩٢٩تحت عنوان " يوميـــات " .

وراجـــع : د/ عمـــر عـــبد المعـــبود : المقال الأدبي عند البشري ص ٩٣ وما بعدها سنة ١٤٢٣هـــ / ٢٠٠٢م .

وأذن لنا كلينا ، وبسطت حاجة قريبي بين يدي ذلك الموظف ، وســألته أن يقضيها إذا كان على حق كما يقول ، فوعد الرجل أن يفعل وهــيأت للقــيام ، فــزر قريبي على عينه وأومأ إلىّ أن زد فى الرجاء ، فعاودت صاحبي فكرر الوعد فى دعة واطمئنان ، ولما هممت بالقيام عاد فغمــز بعينه فعاودت الإلحـــاح ، وعاود الرجل ترديد الوعد ، وما زلنا على هذا حتى ظهر عليه البرم ، فراح يرفع طرفه إلى ساعة الحائط مرة ، ويشيعه فيما احتشد بين يديه من الأوراق مرة أخرى (يريد أن يقول لنا حســبكم فانصــرفوا مأذونين) فجمعت كل ما فى من عزم ونهضت ولم أكــد لأن عين قريبي كادت بنظرتها الحادة تثبتني فى موضعي أبد الآبدين ودهر الداهرين ، وانطلقنا وأنا أجره جراً ! .

وحانــت ساعة الفراق ليمضي كل منا إلى وجهـــه ، فشد على يـــدي ، وكـــرش وجهه ، وزر على عينيه ، وقال لى ، وهو يكاد ينشج بالبكاء والنبى ... ... ! .

ــ ماذا تريد أيضا ؟

ــ والنبى ... !

ــ قل يا أخي : ماذا تريد أن أصنع ؟ !

ــ والنبى ... !

ــ قـــل يـــا أخي : ماذا تبغى منى بعد ذلك ، فقد كدت تذهب بعقلى ... !

ــ والنبي ... !

ــ آه ! لقــد فهمت ، تريد ، أعمل عملاً يكره الرجل إكراهاً على قضاء حاجتك !

ــ نعــم ..! .

ــ كــان بعض صغار الفرحين وأشباههم إذا وقعت على الرجل مــنهم مظــلمة لا يجد النصفة منها عند صغار الحكام ، استكتب بشأنها (عرضــحالاً) وارتصد لصاحب الشأن الأعلى من كبــار الولاة ، حتى إذا جــاز بمركبتــه ، ألقى بنفسه تحت سنابك الخيل ، وبذلك يلفت إليه الــوالي ، فيتلقى (عرضحالــه) ويصغى إلى مظلمته ، وينظر فى شأنه ، وليس لدينا يا ابن العم إلا هذه الطريقة ! فقال لى : وكيف ذلك ؟ قلت: دعــني الــيوم أســوى فى مسألتك (عرضحالاً) ، وتجيئني من غدك فى الصــباح الباكر ، حيث نرصد صاحبنا قرب ديوانــه ، حتى إذا طامن ســيارتــه مــن سرعتها ألقيت بنفسي ، وفى يدي (العريضــة) تحت عجلاتهــا ، فلا أصاب بأكثــر من كسر بسيط فى الساق ، أو اختلاف فى بعــض الأضــلاع يسير ، أو شج لا خطر له فى الرأس ، ولكن الأمر عــلى كــل حال ، سيتعاظم الرجل ويروعــه كل مروع فيعجل بقضاء حاجتك ! .

فقــال : بارك الله فيك يا ابن العــم ، ولا حرمنا همتك ، وهذا هو الظن بك والعشم فيك ! وتواعدنا على أن يجيئني من غده فى الساعة السابعة صباحاً .

وأقـبل عـلىّ صاحبى وقال : أفتدرى ماذا حدث اليوم ؟ قلت مـاذا؟ قـال : بيـنما أنا فى سريرى متدثراً احتماء من البرد القارس إذ جـاءتنى الخادمـة تقـول لى : إن ابن عمك من انتظارك ، وهو يتعجل نزولك إليه لتمضيا إلى الميعاد إلى اتفقتما عليه أمس !!! .

أرأيت يا أخى أشـره من ذلك الرجل وأطبع ، وأبـرد وأصقع وأسمج وأثقل وأصفق أرذل ،

فقلت لـه : أعانك الله !! .

التحليل الفني :

يبدو أن الشيخ البشرى يلتقط من الحياة العامة صوراً من الثقلاء الذيـن يركـبون فى سـبيل مصالحهم الصعب ، فلا يعنيهم إن كان من يـلجأون إلـيه رجلاً رقيق الحس والمشاعر ، يضيق ذرعاً بما يصنعون ، ويمـلأه الضجر من هذا الإلحـاح المرزول ، وأبلغ صورة رسم بها هذا الإلحـاح الذبابـة ، فالذبابة حشرة لا تبالى كلما طردتها عادت إليك فى إصـرار وقـح يؤلمك ويثيرك زيادة على ما تحمله من قاذورات وأمراض أحـياناً ، لكنها لا تفتأ تراجع العمل مرات ومرات ، فصورتها مع صورة الملح فى قضاء حاجتـه تحمل ثقل الفعل وثقل القبول والضيق من الحياة نفسـها ، لأن هـذا الإلحاح يزحم عليه حياتـه ، ويسد منافذها ، ولا يترك حتى نسيم الحياة يتنفسـه .

قـدم لنا البشرى صورة قريب ألح على ابن عمه فى أن يقضى له أمـره ، ولم يترك له فرصة التفكير أو التراجع ، ولم يعجبه أن ينتظر إلى

الغـد ، بـل أخذه لتـوه وذهب معه خوفاً من أن يهمل ، ودخل معه مكتـب الـرجل وهو ينتظر أن تقضى له المصلحـة فى التو والساعة ، وأخذ بإشاراتـه المضحكـة يفهمـه بأن يعاود الطلب والرجاء ، حتى بـدا الضيق على المضيف ، وأفهمهم بأنه لابد من الخروج فى صمت غير مكشـوف ، ولا مـتـوار أيضا ـ والرجل متشبث بمكانه حتى سحبه سـحباً.وخـرج به وأفهمه بأنه لا يستطيع الانتظار ، واتفق معـه على سبيل الفكاهة ، أو على سبيل السخريـة منه بأن يكتب عريضة يشرح فـيها أمره ويأخذها ابن عمه وينتظر الرجل وهو خارج بسيارته ويلقى بنفسـه أمامها فيتوقف ويأخذ العريضة ، ولن ينالـه إلا بعض الكسور ، والـرجل الصفيق لا يبالى ، ويظن أن هذا الأمر يجب نفـاذه ، فتواعد عـلى الغد ، وفى الصباح الباكر جاء ليوقظـه حتى ينفذ ما اتفقا عليه ، ولم يفطن إلى أنها سخرية لأنه لا يعنيه إلا أمر نفسـه .

وهـؤلاء وأمثالهـم كثيرون ، ولذا قيل صاحب الحاجـة أرعن لكنها رعونـة فى هذا المقال بلا حدود ، ثقيلة ومملـة ومؤلمـة .

٧ ــ المقال الإذاعي :

الــذى يقوم على تقديم البرامج والمشاهد والأحداث والمواقف ، يخاطــب بــه جمــوع الشعب على اختلاف مستوياته من خلال وسائل الإعلام عرف هذا اللون بعد ظهور الإذاعة والجهاز الرائي (التليفزيون) إلى الوجود ، ويشترط فيه أن يكون قصيراً يحمل من المعاني أكثر ما يحمل من الألفاظ ، من غير عمق وإيغال فى صياغة المعنى ، ويتناول العديد من فــنون النــشر بعبارة ميسرة ، وأسلوب واضح ، ويشترك المذيعون على اختلاف أذواقهم وثقافاتهم فى تقديم هذا النوع الذى أصبح مادة ضرورية للشــعب ، وهــذا اللون يحتاج إلى قــدرة فى التعبير ومهارة فى التصوير ليجذب المتحدث المستمعين إليــه .

٨ ــ المقال الإنشائي :

هــو الذى يصور انطباع الكاتب تجاه حدث معين ، أو شعوره إزاء موقــف خاص ، أو تأثره بسبب مشهد ما ، وكاتبه يشبه الشاعر فى كــثير ، ولا يبــتعد عنه إلا فى موسيقى الشعر المعروفة التى تجعل عمله قصيدة لا مقالا .

ويمــثل هــذا اللون ما تحفل صفح اليوم من مقالات تدور حول أحــداث اجتماعــية أو طائفية وغيرها مما يحفل المجتمع ويترك بصماته فى ذهــن الكاتب وأبرز كتابة أمين الرافعي ، وسلامة موسى ، ومحمد توفيق ديــاب ، وغيرهــم من رواد الصحافة فى القديم ، وفى الحاضرين أمثال

إبراهيم سعده ، وموسى صبري ، وعبد الله عبد الباري ومحسن محمد وعلي حمدي الجمال وغيرهم .

ب ـ المقال الموضوعي :

الذى يتجرد الكاتب فيه عن شخصيته ، وتتوارى فيه عواطفه ويعالج موضوعه معالجة تقوم على تقصي الأفكار ، وتنسيق المادة المدروسة ، وإبراز عناصرها ، مستخدما الأسلوب المحدد الدقيق الذى يهتم بإبراز الفكرة وتوضيحها ، مدعماً بالأدلة والبراهين ، وأنواعه هي :

١ ـ المقالة النقدية :

نوع من أنواع المقالة الموضوعية التى يتجرد الكاتب فيها عن شخصيته وتتوارى فيها عواطفه ويعالج موضوعه معالجة تقوم على تقصي الأفكار ، وتنسيق المادة المدروسة ، وإبراز عناصرها مستخدماً الأسلوب المحدد الدقيق الذى يهتم بإبراز الفكرة وتوضيحها مدعماً بالأدلة والبراهين .

وهي (أى المقالة النقدية) التى تحلل مذهباً أدبياً تحليلاً واعياً أو تنقحه معتمد فى ذلك على النظريات الأدبية السائدة ، وتتوقف قدرة الكاتب على تذوقه للعمل الأدبي وتعليل الأحكام وتفسيرها .

ويشترط فيها أن تكون ذات موضوع واحد ، وتأتي أحكامها واضحة ويتجرد الناقد خلالها من أحقاده ، ويتوخى العدالة فى

أحكامـــه وأن يكون عالماً بالمثل العليـــا قبل التعرض لأي فكرة وعاطفة أو أسلوب . [1]

وهـــي الـــتى يعمد الكاتب فيها إلى نقد فكرة معينة أو موضوع معروف أو يتناول اتجاها خاصا فى السياسة والاجتمـــاع والأدب . [2]

وتعـــتمد المقالـــــة النقدية على قدرة الكاتب على تذوق الأثر الأدبي ثم تعليل الأحكام وتفسيرها وتقويم الأثر بوجه عام . [3]

وقـــد عالج الزيات فى مقالاته موضوعات نقدية منها : " وظيفة الأدب " فى مقالتـــيـــه : " الأدب والـــثورة " [4] و " الفن بين الصعود والهبوط " . [5]

إذ يـــرى الزيات أن للأدب وظيفة اجتماعية ، وله رسالة تتمثل فى إسعاد المجتمع ، وإشاعـــة البهجة فى الحياة بما يصوره من أحلام ويثيره مـــن آمـــــال ، ويســـنه من مناهج ويرسمه من غايات ويقيمه من المثل بوسائله المختلفة من كتابة وخطابة وصحافة وإذاعـــة وتمثيل .

---

(١) راجـــع د/ الســـيد مرسى أبو ذكرى ـــ المقال وتطوره فى الأدب المعاصر ص ٧٧ ـــ دار المعارف ١٩٨٢م .

(٢) المرجع السابق ص ٢٩٧ .

(٣) د/ محمد يوسف نجم : فن المقالة ص ٣٢ .

(٤) وحي الرسالة : ٤ / ٢٥٢ وما بعدها ـــ الطبعة الثانية ١٩٥٨م .

(٥) وحي الرسالة : ٤ / ١٢٤ وما بعدها .

كما يرى أن الأدب هو الذى يقود كل ثورة ، ويمهد لكل نهضة ويرسم السبيل للذين يرومون بناء أوطانهم ، وينشدون تغيير وجه الحياة فيها ، يقول فى مقالتـــه " الأدب والثورة " : فكل ثورة سياسية أو نهضة اجتماعـــية ، إنما يعدها ويمدها ثورة فكرية تظهر أولاً على ألسنة الشعراء وأقـــلام العـــلماء لقـــوة الحس فيهم ، وصفـــاء النفس منهم ، ثم ينتقل تأثرهم إلى سائر الناس بالخطابـــة والكتابة ،فتكون الثورة أو النهضة .[1]

وإذ يقرر الزيات أن للأدب وظيفـــة اجتماعية ، فهو لا يقصره عـــلى موضوع دون موضوع ، وإنما يجعل الحياة بمجالاتها المختلفة ميداناً لـــه ، وينبوعاً غزيراً يعرف منه ، كما أنه يريد للأدب ـــ وهو يعالج أى موضوع ـــ أن يظهر فى الصورة التى ترضى عنها قواعد الفـــن .

ويقول الزيات فى مقالتـــه : " الفن بين الصعود والهبوط " : إن كان القائلون بالصعود يريدون أن يترفع الفن عن حياة العامة ، فلا يتخذ مـــن حوادثهـــا قصصه وموضوعاتـــه ، ولا ينتزع من مشاهدها صورة وتصـــوراتـــه ، فقولهم باطل ، لأنهم يحصرون عبيره ونوره فى ناحية من نواحـــي الحياة لا هي أجمل ، ولا هي أفضل ، وإن كان القائلون بالهبوط يـــريدون أن يجردوا الفن من قواعده وخصائصه وعبقرياته يُفهمه الغبي والبلـــيد والســـاذج ، فقولهم كذلك باطل ، لأنهم يخرجونه من طبيعتـــه وحقيقـــتـــه لـــيكون عبثاً من العبث لا يوحى ولا يمتع ، إن الفن فى كل

---

(١) أحمد حسن الزيات : وحي الرسالة ٤ / ٢٥٢ وما بعدها ، وانظر د / نعمه رحيم العزاوي . أحمد حسن الزيات ص ٧٣ وما بعدها .

مكـــان هـــو الفـــن ما دام يعبر عن مشاعر النفس ، ومشاهد الطبيعة ، ووسائل العيش وتعبيـــره الحي القوي : الصادق الجميل ، بالكلمـــة أو بالصـــورة أو بالـــنغمـــة أو بالمـــثـــال ، ولا فرق فى ذلك بين أن يكون موضـــوعه علبة الجواهر فى قصر ملك أو صينية البطاطس فى دار سوقه المهم أن تظهر فى الصورة المختـــارة روح الفنان وشعور الإنسان وجمال الحقيقـــة . [1]

وقد عالج الزيات موضوعات نقدية أخرى مثل : العوامل المؤثرة فى الأدب ، ومقومات الأديب ، والنقد والناقد ، ومقاييس نقد الأسلوب والفـــنون الأدبـــيـــة ، وغير ذلك ولكنه ناقشها فى محاضرات جمعت فى كتاب : فى أصول الأدب ، وكتاب : دفاع عن البلاغـــة ، وحديثنا هنا مقصور على ما ورد فى مقالاتـــه فقـــط .

٢ـــ المقال الفلسفي :

الذى يعرض شئون الفلسفة ، ويحلل قضاياها ، ويفسر غامضها بلغة الأدب وأسلوب الأدبـــاء ، وعلى الكاتب فيه أن يعرض مادته بكل دقـــة ووضـــوح حتى لا يضل القارئ فى متاهات الموضوع ، ومن أشهر رجالـــه : أحمد لطفي السيد ، وعلي أدهم ، وزكي نجيب محمود ، وأحمد فـــؤاد الأهـــواني ، وغيرهـــم ممن اهتموا بالكتابات الفلسفية فى عصرنا الحاضر .

---

(١) أحمد حسن الزيات : وحي الرسالة ٤ / ١٢٤ .

٣ـ المقالة السياسية :

هى التي تتناول مشكلة حزبية ، أو فكرة سياسية ، أو وطنية أو دولية ، وتهاجم الاستعمـــار على اعتدائه على الحريات وتبصر الجمهور بما يحيط ببلاده وتستثيره للذود عن مقدساتـــه بأسلـــوب سهل بعيد عن الزخـــرفـــة ، وتعـــتمد فيه على إثارة العواطف [1] " أى أن موضوعات المقالـــة السياســـية " تتـــناول قضايا البلاد الوطنية والقومية ، وتحارب الاســـتعمار وتثير الحمية فى النفوس الخانعة ، وتعبر عن الأماني الوطنية فى الاســـتقلال والأخذ بنظام الشورى فى الحكم وتناهض الظلم والاستبداد وتدعـــو إلى وحدة العرب وتوضح سلبها ومقوماتها ، وتحارب الاضطهاد القومي " .

وهـــذه وتلـــك الموضوعات شائكة فى ظل الاستعمار السياسي والفكري والعسكري ، وقد تكلف من ينادي بها أو يدعو إليها حياتـــه وهي جهاد بالكلمة دعا إليه ديننا الحنيف ، بل عده أعظم الجهاد " أعظم الجهـــاد كلمة حق عند سلطان جائر " ، ذلك أن الكلمة فعل ، والكلمة قـــد تفعل ، رفع الله مكانـــة الكلمة الطيبة فجعلها كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ، وذم الله الكلمة الخبيـــثـــة فجعلها كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار وأثـــنى على أصحاب الكلمة الفاعلة المؤثرة ووعدهم بالتثبيت فى الحياة

---

(١) راجـــع بتصـــرف د/ السيد مرسى أبو ذكرى : المقال وتطوره فى الأدب المعاصر ص ٧٨ ، دار المعارف ١٩٨٢م .

وبعـد الممـات فقـال تعالى (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَـا وَيَضْـرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَـجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَـنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ) . [1]

وانطلاقـاً مـن أن الجهاد بالكلمة له فضله ، لما لها من أثر فإن أعداء الحق لا يرقبون فى أصحاب الكلمة الفاعلـة البناءة المؤثرة إلا ولا ذمـة ، وتاريخنـا الحديث المعاصر كل يوم يشهد على ذلك ويؤكده ، فحـين هب كتاب المقالة السياسية يخاطبون الناس من قريب ويتحدثون إلـيهم فى شـئونهم الوطنيـة ، وتجاوب الناس معهم ، وتأثروا بمقالاتهم وقامـت الـثورة العرابية ، وحوكم زعماؤها حوكم معهم كتاب المقالة حينـئذ ، فاخـتفى عبد الله نديم ، ونفى محمد عبده ، وأبعد جمال الدين الأفغـاني ، ولم يصـبهم ما أصابهم إلا بسبب ما كتبوا من مقالا سياسية ولكـن ذلـك لم يـثن أرباب الأقلام الحرة عن عزمهم ، ولم يفت من عضدهم ، فحملوا شرف الكلمة تاجاً فوق رءوسهم ، وقاوموا الاحتلال فى عصـرهم مـن أمثال مصطفى كامل ، والشيخ علي يوسف ، ولطفي السيد ، وغيرهم من كتاب الجيل الثاني من كتاب المقالة السياسية الذين بـثوا فـيها حياة وقوة ناهضت الاحتلال البريطاني ، وجاء بعدهم جيل

---

(1) سورة إبراهيم : ٢٤ ـ ٢٧ .

ثالـــث نشـــأت فى عهده الأحزاب السياسية بعد تصريح ٢٨ من فبراير ١٩٢٢م ، وكـــان لهذه الأحزاب كتابها الذين يؤمنون بأفكارها ، ولعل خـــير مـــن يمثل هذا الجيل أمين الرافعي ، وعباس العقاد ، ومحمد حسين هـــيكل ، وعبد القادر حمزة ، وطه حسين ، وإبراهيم عبد القادر المازني ، أولـــئك الذيـــن كـــانوا يخلبون القلوب بمقالاتهم السياسية ، التى تختلف باختلاف شخصياتهم ومقدراتهم البيانيـــة " . [1]

ويأتي أحمد حسن الزيات فى مصاف هؤلاء الكتاب بما كتب من مقـــالات سياســـية " عالج فيها كثيراً من موضوعات عصره " وعرض لما كـــان يشـــغل الناس من قضايا وطنية فأدلـــى فيها بدلوه ، ووقف منها الموقـــف الـــذى أملتـــه عليه وطنيتـــه الصادقـــة فى تغيير أوضاع وطنه وأمتـــه وإنقاذهما مما يهيمن عليهما من ظلم وجور " . [2]

موقف من الإقطاع :

هاجم الزيات الإقطاع هجوماً عنيفا ، وخصه بمقالات كثيرة قبل ثورة يوليو ١٩٥٢م ومنها : (فلاحون وأمراء) [3]، ومقال : (يا رياح الخريف هب) . [4] [5]

---

(١) راجـــع بتصرف د/ شوقي ضيف : الأدب العربي المعاصر فى مصر ص ٢٠٥ وما بعدها ـــ دار المعارف ـــ ط ٨ .

(٢) د/ نعمة العزاوي : أحمد حسن الزيات كاتباً وناقداً ص ٤٦ .

(٣) أحمد حسن الزيات : وحي الرسالة ٢ / ٥٣ ـــ ٥٦ فى ٥ يونيه ١٩٣٩م .

(٤) أحمد حسن الزيات : وحي الرسالة ٤ / ٤٤ وما بعدها .

(٥) د/ نعمة رحيم العزاوي : أحمد حسن الزيات كاتباً وناقداً ص ٤٦ .

فلاحون وأمراء

جلست كعادتي فى عصر كل سبت أفكر فى موضوعي الأسبوعي للرسالة فتردد على خاطري المكدود معان شتى من وحي الساعة وحديث الناس وحواز [1] القلوب كمأساة (حلحول) فى فلسطين ، وصلة القديم بالجديد فى الأدب ، فكنت أذودها بالفتور والإهمال ، لأن معنى من المعاني القوية كان قد استبد بذهني منذ الصباح فهو يراوده ويعاوده ويلح عليه حتى لم يكن من الكتابة فيه بد .

ذلك بيان النبيل عمرو إبراهيم رئيس نادي الفروسية الذى بعث به إلى الأهرام وطلب إليها أن تنشره (كاملا) فى عدد اليوم ، والذى استفزني من هذا البيان لهجته الأميرية المنتفخة فى الرد على رئيس الوزراء والطعن فى بعض الكبراء ، والدفاع الظنين عن نظام الطبقات ، والتفسير المجازف لكلمتي الفلاح والديمقراطية ، والتلميح المختزل إلى السامية والطورانية ، فإن هذه مسائل دقيقة ما كان النبيل أن يعرض لها بهذا الاستكبار ، فى بيان دفاعي لا يجوز أن يخرج فيه عن التنصل أو الاعتذار !

لست والحمد لله من طبقة أولئك النادين إلى هذه (الكلبات) التى تتضاءل فيها الديمقراطية بين أرستقراطية الدم أو المال أو المنصب فلا أزعم أني سمعت الأشداق الملوية تأمر ، ورأيت الأنوف الوارمة

---

(١) حواز القلوب : جمع حازة ، وهي الأمور التى تقطع القلوب وتؤثر فيها .

تمـــتعض ، ولكني قرأت كمـــا قرأ الناس ثورة رئيس الشيوخ وزأرة [١] رئيس الحكومة ، فعلمت والأسى يحز فى صدرى أن بعض الذين جعلناهم أمراء ونبـــلاء لا يزالون على عقلية ذلك التركي الفقير الذى كان يقرع الـــبواب مستجدياً فإذا أجابـــه المجيب الفزع قال لـــه فى عنف وصلف وأنفـــة " هات صدقة لسيدك محمد أغا " وما أدرى ما الذى سوغ لهم أن يعـــتقدوا أن الله خلقهـــم من المسك للملك ، وخلقنا من الطين للطين ، وجعـــلهم للثروة والسيادة وجعلنا للخدمة والعبادة ؟ إن كانوا مسلمين فالإسلام قد محا الفروق بين الطبقات إلا البر والتقوى : فالعرب والعجم ســـواء ، وقريش وباهلة أكفاء [٢] ، وإن كانوا وطنيين فالوطن لا يعرف التفاضـــل بـــين أبـــنائه إلا بأثـــرهم فى تقويتـــه وترقيتـــه وخدمتـــه ، فالفلاحون على درجته العليا لأنهم عماد ثروته وعدة دفاعه وقوة سلطانه والأمـــراء عـــلى درجتـــه السفلى ، لأنهم فيه معنى السرف الذى يفقر

---

(١) قال الرئيس النبيل بالحق محمد محمود باشا وقد علم أن " نادي الفروسية " يتعاظم على سراة المصريين ويتهاون من عضويتهم فيه لأنهم (فلاحون) : " إن حكومة جلالـــة الملك لا يمكن أن تسمح بإعادة نظام الطبقات ، نحن هـــنا فى بلد ديمقراطي ، وكل المصريين سواء ، وجلالـــة الملك يضرب كل يـــوم أعظـــم الأمثال فى ديمقراطيتـــه ومصريتـــه ، أنا فلاح وابن فلاح ، وأفخـــر بأن أكون كذلك ، والفلاح هو عماد هذه البلاد وفخرها ، وإذا كـــان بين أعضاء (نادي الفروسية) من لا يعجبه هذا الكلام فليرحل من بلاد الفلاحيـــن " .

(٢) باهلة : قبيلة عربية توصف باللؤم والحقارة .

والترف الذى يوهن ، والبطالة التى تميت ! وبين هاتين الدرجتين تتفاوت مواقـــف الوزراء والزعماء والكبراء على حسب ما لكل منهم عليه من فضل .

لا يـــا ســـيدي النبيل ! ليس نظام الطبقات هو القائم فى مصر وأوربـــا كما تقول ، فإن جعلك نفسك ونظراءك طبقة معينة لها حدودها الأربعـــة وجهاتهـــا الست لا يجعل نظام الطبقات حقيقة واقعة ، إن مصر كلها من أعلى شلالها إلى أسفل دالها [1] طبقة واحدة فيها الغني والفقير ، والمالك والأجير ، والصحيح والمريض ، والعالم والجاهل ، فهل نجعل كل حال من هذه الحالات طبقة ؟ وهل تستطيع أن تعين لى الفرق بين طبقتك المـــرفوعـــة وطبقتنا الموضوعة إذا كان الدستور الذى تخضع له الطبقتان يستطيع أن يجعل ابن الخادم الذى ينظف لك الحذاء جليسك ورئيسك ؟ لقد كان امتياز طبقتك على طبقتنا أنك تمسك (الكرباج) ونحن نمسك الفأس ، وتأكل الذهب ، ونحن نأكل التراب ، وتعبد الشيطان ونحن نعبد الله ، وتتكلم التركية ، ونحن نتكلم العربية ، فلما قيض الله لمصر العظيمة فؤاداً العظيم فتزوج منا وحكم بنا وسعى لنا ، شعرنا بأن العرش مستقر على كواهلنا ، والعلم يخفق على معاقلنا ، والسلام [2] يتردد فى شعورنا ، والحكومـــة تقوم بأمرنـــا ، والنيل يجري بخيرنا ، ورأينا كم حين أخذكم ـــ رضـــوان الله علـــيه ـــ بأدب الإسلام والشرق لذتم بأطراف الغربة ،

---

(١) الدال : دلتا النيـــل .

(٢) السلام : هو النشيد الوطنـــي .

وقبعتم فى زوايا العزلة ، وكنتم من مصر وثروتها مكان البالوعـــة تطفح بعرق الفلاح ودمـــه لتصب فى مناقع البلدان الغربيـــة !

لا يا سيدي النبيل ! ليس المصريون فى الجنسية والوطنية بمنزلـــة ســـواء ، فإن منهم من تمصر بالقانون لا بالأصالـــة ، وتوطن للمنفعة لا للعاطفة ، وكيف يستوى فى ميزان الوطنية من يقف على مصر يده وقلبه وكســـبه ودمه ، ومن لا يعرفها إلا معرفة الغرمـــاء ، ولا يعيش فيها إلا أشهر الشتاء ، ولا يعينه من أمورهـــا إلا خفض أجرة العامل ورفع سعر القطـــن !

كذلـــك لـــيس من خالص الحق قولك : " إن حق الشخص فى الانتســـاب إلى أمـــة إنما ينالـــه بما يؤديه إلى وطنـــه من الخدمات سواء أكـــان ذلك بنفسه أو بأفراد أسرته من آبائه وأعمامه وأجداده وأجداد أجداده " فإن أموال أبيك لك ، ولكن أمجاده لـــه ، والوطني الصميم هو الـــذى يرفع ما بنى أبوه ، ويتمم ما بدأ جده ، ولا ينفع المرء عند الوطن أن أباه وطني وهو خائـــن ، ولا عند الله أن أبـــاه مسلم وهو ملحد ! .

وهذه نماذج أخرى لموضوعات سياسية تتعلق بقضية فلسطين عام ١٩٤٨م منها :

١ـ مقالـة بعنوان : (قضية مكسوبة) .(*)

يحمـل صـديقنا الأسـتاذ الحداد مطارقه كلها فى هذه الأيام ، ويضـرب بهـذه المطـارق كلها على رؤوس الصهيونيين ! فتارة يتناول التلمود ويكشف عما فيه من الوصايا الخفية ، وتارة أخرى يتناول المجامع العلـيا وما تأتمر به من مؤامراتها الجهنمية ، ويعرض أحيانا للماسونية التى تـتخذ هـيكل سليمان شعاراً لها ، ولا تخلو من صلة بسياسة إسرائيل ، ويعرض أحيانا أخرى لدسائس القوم فى العصر الحديث ، وهي نمط منقح من دسائسهم فى كل تاريخ قديم .

وحسـنا صنع الحداد ، فإنه الآن على الأقل ليضرب بمطارقـه حيث تنزل مطارق الله ، وما نزلت مطارق الله على قوم كما نزلت على هـؤلاء (شعبه المخـتار) فكأنهم شعبه المختار بمعنى واحد ، وهو معنى الاختيار للنقمة والعقـاب .

وآخـر مـا قرأتـه فى هذه الحملة الحداديـة كلامه عن كتابة الـتوراة العبريـة فى عهد موسى عليه السلام ، فهو ينفي كتابة الأسفار الخمسة التى تنسب إلى موسى عليه السلام ، ويستدل على ذلك بتاريخ الكتابة بين العبرانيين .

(*) المقالة لعباس محمود العقاد فى مجلة الرسالة ، العدد ٧٨٥ ، ١٩ من يوليو ١٩٤٨م ، ص ٨٠١ ـ ٨٠٣ .
راجع د/ عطاء كفافي : المقالـة الأدبية ص ٩٥ مرجع سابق .

ومـــن المحقـــق أن هذه الأسفار الخمسة كتبت بعد عصر موسى علـــيه السلام بزمن طويل ، وليس أكثر من الأدلـــة التاريخيـــة القاطعة التى لا تدع لذرة من الشك موضعاً فى ثبوت هذه الحقيقـــة ، ولا حاجة بـــنا ولا بالأستاذ الحداد إلى سرد هذه الأدلـــة التاريخية المطولـــة ؛ فإن نصـــوص الأســـفار الخمسة نفسها تغنينا عن كل دليل ، إذ تروى هذه الأســـفار فيما تروى نبأ ملك قديم قام فى بنى إسرائيل ، ومعنى ذلك أن هذه الرواية كتبت بعد قيام الملك فيهم على عهد شاؤل وداود وسليمان أى بعد موسى بثمانية أو تسعـــة قـــرون .

ومـــن أعجب العجب أن تنسب هذه الأسفار إلى موسى وفيها وصـــف موته ودفنـــه ، ومقارنة بينه وبين التابعين له من الأنبياء ، ففي الإصـــحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية : (فمات هناك موسى عبد الـــرب فى أرض مـــوآب حســـب قول الرب ، ودفنه فى الجوا فى أرض مـــوآب مقابل بيت فغور ، ولم يعرف إنسان قبره إلى اليـــوم) وفى ذلك الإصـــحاح أنه لم يقم بعد موسى فى إسرائيل نبي مثلـــه ، ومعنى ذلك أن هـــذا الإصحاح كتب بعد قيام أنبياء كثيرين تنعقد المقارنـــة بينهم وبين موســـى علـــيه السلام ، فمن الثابت قطعاً أن هذه الأسفـــار العبريـــة كتبت بعد عصر موسى عليه السلام بعدة قرون .

ولكـــنني أكتب هذا المقال لأبسط فيه الرجاء إلى صديقنا الحداد أن يرجئ حملته على هذه (المستندات) العبرية ، لأنها قد تنفعنا فى قضية مكســـوبة إن شاء الله ، وهذا هو خط سير القضية التى نعتمد فيها على

تلـك المسـتندات ، حتى ينكرها الصهيونيون فنكسب ، أو يعترفوا بها فنكسب ، ونحن الكاسبون على الحالتيـن .

فتحـت محكمـة العدل الدوليـة عن مندوب مصر يطالب عصابة إسرائيل بعشرين مليوناً من الجنيهات الذهبيـة .

قال القاضي لمندوب مصر : علام تستند فى دعواك ؟

قال المندوب : على وثيقة لا يطعن فيها الصهيونيون !

قال القاضي : أيـن هي ؟

قال المندوب : هي هذه ، ودفع إليه بنسخة من التوراة العبرية ، ويظهـر أن الأوربيين والغربيين لا يقرأون التوراة فى هذه الأيـام ، لأنهم لـو كـانوا يقـرأونها لعرفوا منها تاريخ هؤلاء القوم ، وعرفوا منها أن أنبياءهم كانوا يصفونهم مرة بعد مرة بالتمرد والعصيان وغلظ الرقاب ، وأنهم ما برحوا منذ كانوا على شقاق وشغب واضطراب .

قال القاضي : وماذا فى هذه الوثيقة مما يثبت دعواك ؟

قـال مـندوب مصر : فى الإصحاح الثالث من سفر الخروج : (يكـون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين ، بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلـة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا ، وتضعونا على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريـين) .

قال القاضي : هذه نية ، هذا شروع ، فهل تمت الجريمة ؟

قـال مـندوب مصر : نعم تمت ؛ فقد جاء فى الإصحاح الثانى عشر من سفر الخروج أيضا (أن بنى إسرائيل ارتحلوا ... نحو ستمائة [١] مـاش من الرجال عدا الأولاد ، وصعد معهم لفيف كثير أيضا من غنم وبقر ومواشي وافرة جداً) .

وجـاء فى الإصـحاح قبل ذلك (أنهم طلبوا من المصريين أمتعة فضـة ، وأمـتعة ذهب ، وثيابا ، وأعطى الرب نعمة للشعب فى عيون المصريين حتى أعاروهم فسلبوا المصريين) .

فسأل القاضي مندوب مصر : ولكن علام بنيتم تقديركم للمبلغ المطلوب ؟

قال المندوب : ثابت يا حضرات القضاة من هذه الوثيقة أن عدد الـرجال فقـط مـن بنى إسرائيل كان ستمائة ألف رجل ، عدا النساء والأولاد ، فلا يقل عددهم جميعاً إذن عن ثلاثة ملايين ، وثابت من هذه الوثـيقة أنهم كان معهم لفيف كثير ، وثابت منها المواشي التى أخذوها كانـت كثيرة جداً ، وثابت منها أنهم أخذوا أمتعة ذهب وفضة ، وثيابا موشاة مما يلبس فى الأعراس ، فإذا قدرنا هذا ـــ مع الفوائد المستحقة فى نيف وثلاثين قرنـاً ـــ فليس هناك أقل مبالغـة فى تقديره بعشرين مليونا من الجنيهات الذهبيـة .

---

(١) رقـم " سـتمائة ماش " خطأ مطبعي فى المقالة ، وصحته فى كتابهم المقدس " ستمائة ألف ماش " ، وكما أشار إليه العقاد نفسه بعد ذلك .

فـــتداول القضـــاة قلـــيلاً فيما بينهم ، ثم سأل رئيسهم مندوب عصابة إسرائيل : ما قولك فى الديـــن المطلوب ؟

قال المندوب الصهيوني : إني أنكره ولا أعترف به .

قال رئيس القضاة : ولم ؟ هل تطعن فى الوثيقة ؟

قال : كلا ، لا أطعن فى الوثيقـــة .

قال القاضي : إذن هل تطعن فى التقدير ؟

فالتفت المندوب إلى مستشاريه ، وتداولوا الرأي فيما بينهم مليا فتـــبين أن الطعن فى التقدير ينتهي إلى الحكم بمبلغ كثير أو قليل على كل حال ، ثم عاد مندوبهم إلى الكلام وهو يقول : إننا يا حضرات القضاة لا نطعـــن فى الوثيقة ، ولا نطعن فى التقدير ، ولكننا نطلب الحكم بسقوط الدعوى لمضي المـــدة .

فـــنظر القاضـــي إلى مندوب مصر سائلا : ما جوابك على هذا الدفع ؟

قـــال المـــندوب : جـــوابي أن المدة التى مضت على هذا الدين المعترف به هي المدة التى مضت على حق القوم المزعوم فى ملك فلسطين فإن سقطت الدعـــوى هنا سقطت الدعـــوى هناك .

ولم يســـع القاضي إلا أن يســـأل الطرفين : أتوافقون إذن على إسقاط الدعـــوى جملـــة فى هذه الوثيقـــة ؟

قـــال مندوب إسرائيل على عادة القوم فى كل مطلب وفى كل دعوى : بل تعتبر القضية قائمة فى دعـــوى صهيون ، وتسقط القضية فى دعـــوى المصريين !

يا صديقي الحداد !

أنت ترى (خط سير القضية) وأنت رجل كيمى [1] رجل أديب ، ولكـــنك لا تجهـــل أن الدعوى مكسوبة على الحالتيـــن وإن ساورتك الظنون كما تساورنا فى محاكم الدول وهيئات التحكيم ، فهلا رفعت من مطارقك التى تهوى بها على هؤلاء القوم مطرقة واحدة إلى حين !

هـــلا رفعـــت عنهم مطرقتك التى تهوى بها على (مستندهم) القديم !

ارفعها قليلا ، وتكون يومئذ قد صنعت بهم ما صنع الحداد " .

* * * * * *

نـــرى فى بداية المقال مقدمة تشير إلى مقالات الحداد عن قضية فلســـطين وهذه المقدمة نفسها توحى بأنها مقالة ذاتيـــة ، ولكننا لا نلبث معها قليلاً حتى نرى العقاد قد حولها إلى مقالـــة موضوعية تتناول قضية تاريخية قديمة مؤيدة بالمستندات ، وممزوجـــة بقضية فلسطين الراهنـــة إلى أن ينـــتهي فى خاتمـــتها التى يخاطب فيها صديقه (الحـــداد) إلى مسحة ذاتيـــة .

---

(١) صيدلـــي .

والأستاذ الحداد الذى أشار إليه العقاد فى مقاله هو (نقولا الحداد) صيدلي وأديب داب على نشر العديد من المقالات عن قضية فلسطين فى المجلات الأدبية ، وسيأتي فى نهاية تعريف به .

أفكار المقالة :

١ـ المحور الرئيسي الذى دارت عليه المقالة هو (بطلان دعوى اليهود فى فلسطين) .

٢ـ فند العقاد بأدلة قاطعة مقولة اليهود بأن الأسفار الخمسة كتبت فى عهد موسى عليه السلام .

٣ـ صنع العقاد مشهداً تمثيلياً فى المقالة لمحكمة العدل الدولية عرض فيه لوجهات النظر فى القضية ، مع الاستدلال بنصوص كتاب اليهود المقدس ، وقد وفق العقاد فى توظيف الحوادث التاريخية القديمة ، ومن وقاع كتاب اليهود المقدس فى عرض قضيته الحديثة بطريقة ذكية وتناول ساخر بعقلية بني إسرائيل ، وطرق تفكيرهم ، وتهافت دعواهم فى فلسطين .

أسلوب المقالة :

١ـ تشيع فى أسلوب المقالة ظاهرتان واضحتان ، الأولى : الدعابة مع صديقه الحداد ، والثانية : التهكم مع إلزام الخصم الحجة فى المناظرة أو المحاكمة التى أوردها ، لأنه يرى أن المقام يتطلب ذلك .

٢ـ اتخـاذ سبل البحث والتمحيص والمقابلات العقلية ملحوظة في أسلوبـه .

٣ـ الإحكـام والتماسك في أدائـه اللغـوي .

٤ـ الاقتصـاد في الأسلوب بالتعبير عن المعنى الواحد بعبارة واحدة في قوة ووضـوح .

٥ـ التحري الدقيق في السلامة اللغوية والنحويـة .

٢ـــ مقالة بعنوان : (ماذا استفدنا من حرب فلسطين)[*]

وقـــف القتال فى فلسطين نزولا على حكم مجلس الأمن ، وبهذا تمت مرحلة من مراحل الجهاد يصح أن نقف عندها ، لنتأمل فى أحداثها ونرى موضع العبرة فيها .

توحـــدت كـــلمة العـــرب بعد طول الانقسام ، وكان يجب أن تـــتوحد مـــن وقت أن ظهر الصهيونيين ، أو من وقت عهد بلفور على الأقـــل ، كمـــا توحدت مساعى الصهيونيين من أمد بعيد ، وبدأنا أخيراً نضـــع برامج القتال بعد أن وضع الصهيونيون برامجهم من زمن طويل ، وأخـــرجوها إلى حـــيز الفعل ، ففي كل مستعمرة قلاع ، وفى كل تلال حصـــون إلى مصانع للذخيرة ، واستجلاب ما أمكن من العدد ، وأضعنا زمنا كنا نقاتلهم فيه بالروح المعنوية النبيلة القومية من غير أن نعتمد على قوة مادية كافية ، ومن غير أن نعتمد على تنظيم جهود لابد منها للقتال ، وذهبـــت ضحايا كثيرة بريئة شريفة ما كانت لتضيع لو رتبت الأمور ونظمت الجهود ، ووضعت الخطط من أول الأمر .

ولكـــن ذلـــك كله على كل حال كان درساً قاسيا تعلمنا منه وحـــدة الكـــلمة ، وتنظيم الخطط ، وأنه يجب علينا ألا نغمض العين بعد ذلـــك عن الداء متى بدأت أعراضـــه ، ولا ندعـــه يستفحل ثم نأخذ فى

(*) المقالة للدكتور أحمد أمين فى مجلة الثقافة ، العدد ٥٠٠ ، ٢٧ من يوليو ١٩٤٨م ، ص ١ ، ٢ .

علاجـــه .

وعـــلى الجملـــة فقد استفدنا أن العلم يجب أن يحارب بالعلم لا بالـــبركة ولا حيثما اتفق ، فالحرب تخضع للعلم كما يخضع له الآن كل شـــيء ، لابد لها من كلمة موحدة ، وخطة محكمة منظمة ، وآلات قتال كافـــية ، يدعمها كلها روح معنوية قوية ، وليست تنقصنا ـــ والحمد لله ـــ هذه الروح القوية ، فإذا تمت لها بقية وسائلها فالظفر ـــ بمشيئة الله ـــ محتوم .

وقـــد أثبتت هذه الحرب أن الجندي العربي لم يفقد رجولته ولا شـــهامته على الرغم من عسف الاستعمار واستبداده ، ومحاولتـــه إماتة الـــروح العسكرية فيه ، وظل الجندي العربي محتفظاً بكفايتـــه ، قويا فى حـــربـــه ، أميـــنا فى وطنيتـــه ، مسترخصا نفسه فى الذود عن أمتـــه ، ولولا ألاعيب السياسة من نشاطـــه لاكتسح الصهيونية اكتساحاً .

وهـــذه الـــروح العسكرية هي رأس مال الأمـــة ، فإذا كملت بالذخائـــر والمعـــدات والفنون فبشر الأمة بالعز ، وعلو الكلمة ، وخير النتائج ، وهذا هو ما يجب أن تطمح الدول العربية لتحقيقـــه ، ولاشك أن بـــراعـــة الجـــندي العربي التى ظهرت فى هذه الحرب سيحسب لها الغرب حساباً كبيراً ، ويبنى على ذلك سياستـــه المستقبلة فى الشرق .

ثم استفدنا درساً أزال البقية الباقية من حفلتنا إزاء أوربا وأمريكا فقـــد كـــان فينا من لا يزال يؤمن بمبادئ (ولسن) وميثاقي الأطلنطي وهيـــئة الأمم ، فانكشف ستارها ، وظهر عوارها ، وتبين لكل ذى عينين

أن لا عـــدل عندها ولا إنسانية ولا مبادئ ولا حق ، وإنما كل الأمر أمر مصالح ، ومصالح وقتية يحددها النظر القصير ، فمن كان يطمع من أوربا وأمريكا أن تقدر الأمور كما يقدرها القاضي العادل ، وأن يكون مجلس الأمن محكمة عليا عادلـــة تنصف المظلوم من الظالم ، وترد للضعيف حقه مـــن القوي ، فقد تعلق بأوهـــام ، وأمل فى سراب ، فليست انجلترا ولا أمريكا ولا روسيا ولا فرنسا ولا غيرها تنظر إلى المسائل التى تعرض نظرة قانوني عادل ، وإنما تنظر إليه نظرة سياسي طامـــع .

كل أمـــة تنظر إلى مصلحتها العاجلة أين هي فيصوت ممثلها لها ولو خرق عين العدالـــة ، وبعض العرب إلى الآن كانوا يتأثرون بماضيهم فى رعايـــــة العـــدل ، وحرمة الحق ، ويتأثرون بتعاليم دينهم فى الالتزام بـــالوعـــد ، والوفاء بالعهد ، ويظنون أن الناس كلهم على هذا النمط ، ويفوتهم أن السياسة الحاضرة لا عهد لها ولا وفـــاء ولا صدق ، وأن لا بـــأس علـــيها أن تقول اليوم ما تنقض غداً ، وتعد اليوم ما تخلف غداً ، جريا وراء المصلحة العارضـــة .

وإذا كـــان هذا شأنهم فى معاملـــة بعضهم بعضاً فهم فى معاملة الشرقيين والعرب والمسلمين أشد وأنكى ، وأن تاريخ السياسة الفرنسية والإنجليزية فى العالم العربي سلسلة عسف واضطهاد وأكاذيب ونفاق .

وهـــذه أمـــريكا ظهرت بعد الحرب فكانت شر الثلاثة ، تاريخ فرنسا فى بلاد المغرب يخجل من ذكره الشيطان ، وتاريخ انجلترا فى مصر

والسودان وفلسطين وعد وخلف ، وقبض وبسط ، وظاهر ناعم وباطن غـدار ، وتحبب وتنكر ، وضربة للعرب وضربة لفلسطين ، وتشجيع للعرب على القتال حينا ، وتهديد لهم إذا استمروا فى القتال حينا آخر ، وهكذا تتلون الحرباء .

وأمريكا تتطلع علينا بوجهها البغيض ، وكأن بينها وبين العرب ضغناً قديماً ، تناصر خصومهم الصهيونيين ، وتمكن لهم فى أرض العرب ، وتمدهم بالسلاح ، وتضغط على الدول بكل الوسائل شريفها وخسيسها ليقفوا بجانبها حتى ليعجب الناظر من هذا التحمس البالغ ، وسبب هذا الحقد الشنيع ، ثم هذه الدولة الفتية صاحبة هذه السياسة الخرقاء هي التى تتزعم مجلس الأمن وتحركه وتوجهه نحو الحق والعدل ، وحماية الضعيف ونصرة الأمم الصغيرة ، والمحافظة على الحريات الأربع ! أليس كذلك ؟

لقد لدغ العرب من جحر أوربا وأمريكا مرارا ولم يتعظوا ، وكانوا كلما لدغوا مرة قدموا أبدانهم لتلدغ مرة أخرى ، فلما كانت حرب فلسطين هذه وشاهدوا على المسرح ضروبا غريبة من اللعاب تلعبها إنجلترا فى تحريض العرب على القتال ، والتهديد إذا حدث القتال ونصرة العرب يوماً وخذلهم يوما ، وألعاب تلعبها أمريكا من ضغط على العرب وضغط على الأمم ليكونوا بجانبها ضد العرب ، وتهديد للأمم بالحرمان من المساعدات المالية إذا لم يصغوا إليها ويشجعوا الصهيونية ،

ولعبة الوسيط يوجهونه كما يشاءون ، ويحركونه كما يريدون ، إلى كثير من أمثال هذه الألعـــاب البهلوانيـــة .

لما شهد العرب هذه الألعاب التى لم يشهدوا مثلها من قبل فى أية رواية من الروايات ، آلوا على أنفسهم ألا يخدعوا من أوربا وأمريكا مرة أخـــرى ، وأن يفـــتحوا أعينهم حتى لا يلدغوا من الثعبان مرة أخرى ، وآمـــنوا لـــلمرة الأخيرة أن هذه الدول لا يسيرها شرف ولا قانون ولا عـــدل ، وإنما هي المصلحة ، وأن هذه الدول لا تحترم إلا القوة ، فليقووا أنفســـهم ، فإذا قووها كانت مصلحة هذه الدول فى مصادقتها ، وكان لهـــم هم الحق فى اختيـــار من يصادقـــون ، هذا ما ربحنـــا من الحرب ، وهو ربح ـــ لو تعلمون ـــ عظيم " .

نجـــد فى بدايـــة المقالـــة مقدمة موجزة وهي : " وقف القتال فى فلســـطين نـــزولا على حكم مجلس الأمـــن ، وبهذا تمت مرحلـــة من مراحل الجهـــاد يصح أن نقف عندها لنتأمل فى أحداثها ، ونرى موضع العـــبرة فـــيها " ، وبعدهـــا تـــناول الكاتب موضوعه بالشرح ، وسرد المعلومات ، واتخاذ العبرة منها إلى أن انتهى إلى خاتمة قصيرة يقول فيها : " هذا ما ربحنا ، وهو ربح ـــ لو تعلمون ـــ عظيم " .

والمقالـــــة موضـــوعيـــة فى مجمـــلها ، ولكننا نلمح فى ثناياها تعـــبيرات للكاتب بصيغة الجمع متحدثاً فيها عن العرب مثل قولـــه " ثم استفدنا درساً " وقولـــه " فقد كان فينا " .

أفكار المقالة :

١ــ الهـــدف الأساســـي من المقالة هو استخلاص عدة دروس للعرب من حرب فلسطين فى عام ١٩٤٨م ، فأبان عن هذه الدروس فى الجوانب التاليـــة :

أ ــ أهمـــية الوحـــدة العربـــية فى قضـــية فلسطين لمجابهة وحدة الصهيونيين المبكـــرة .

ب ــ ضـــرورة الأخـــذ بجانـــب القوة المادية إلى جانب الروح المعنوية التى اعتمد عليها العرب ، مع تطبيق مبدأ التنظيم والتخطيط .

ج ــ الدعوة ليقظة العرب ، والمسارعة فى حل مشكلاتهم .

د ــ المحاربة بسلاح العلم ، ونبذ سياسة الارتجـــال .

هــــ ــ إظهـــار شجاعة الجندي العربي ، وبيان أهمية إكمـــال هـــذه الـــروح العالية بالمعدات العسكرية والفنون الحربية ، أما النتيجة السيئة لحرب فلسطين فإن سببها يرجع إلى الظروف السياسية التى حدت من نشاط الجندي العربي .

و ــ إظهـــار حقيقة السياسة العالمية بصراحـــة أمام العرب كي يتبينوا فى أى عالم يعيشون .

ز ــ تذكير العرب بمؤامرات دول الغرب إزائهم ، وتنبيههم إلى أساليبهم الملتوية فى معالجتهم لقضايا العـــرب .

ح ــ الدعــوة إلى الأخــذ بوســائل القوة ؛ فهي الأساس فى المعاملات الدوليــة .

أسلوب المقالة :

١ــ يظهــر فى أســلوب المقالة الهدوء ، والوضوح ، والاتزان الفكري ، والثقة المبنية على الفهم .

٢ــ نــلحظ فى طريقة تناول الكاتب للمقالة ثقافتــه المستوعبة لعدة جوانب سياسية واقتصادية وفكريــة .

٣ــ أبــان الكاتب عن أفكــاره بالشرح وبضرب الأمثلة من التاريخ الحديث فى إشارات دالــة ومقنعــة .

٤ــ ألفــاظ المقالـــة بريئة من الغرابــة ، وتعبيراتها بعيدة عن التكلف ، وتراكيبها سهلة سلسلة .

٥ــ نــرى ســخرية الكاتب من العرب فى اعتمادهم التام على الغــرب فى قولــه : " وكانوا كلما لدغوا مرة قدموا أبدانهم لتلدغ مرة أخرى " .

٦ــ نجــد فى المقالـــة ألفاظــاً وجملا مترادفــة أملتها الطبيعة الأدبــية عــلى الكاتــب عــندما يعمد إلى موضوع ذى طابع سياسي كموضوعنا هذا مثل قولــه :" عسف واضطهاد " ، " فانكشف ستارها وظهــر عوارهــا " ، " فقــد تعلق بأوهام ، وأمل فى سراب " ، " ولعبة الوسيط يوجهونه كما يشاءون ، ويحركونه كما يريدون " .

٤ ــ المقال التاريخي :

الذى يتناول عصرا مضى ــ أو ثورة سلفت ، أو شخصية ولت بلغـــة الأدب وطـــريقة الـــناثرين ، لا بلغة التاريخ وأسلوب المؤرخين ، ويعتمد الكاتب فيه على الحقائق والأخبـــار والروايات ، وعلى الكاتب أن يربط بين حلقات الواقع بخيالـــه حتى يخرج منها سلسلة متصلة دائمة وأبـــرز كـــتابه عـــبد القادر حمزة ، وعبد الرحمن الرافعي ، ومحمد أنيس وغيرهـــم ممـــن يهتمون بالكتابات التاريخية على صفحات الصحف التى نطالعها اليـــوم .

٥ ــ مقال العلوم الاجتماعية :

الـــذى يعـــرض شـــئون السياسة وأحوال المجتمع ، ومشاكل الاقتصـــاد عرضـــاً موضـــوعياً ، يعتمد على الاحصائيات الدقيقـــة ، والموازنـــات الســـليمة ، والتحليلات الواعية ، وأبرز كتابه : قاسم أمين وملـــك حـــنفى ناصـــف ، وهدى شعراوي ، ومنصور فهمي ، وعلي عـــبد الواحد وافي ، وعبد العزيز عزت وأحمد زكي وعبد المحسن صالح وغيرهـــم ممـــا تحفـــل مجلاتنا العربية بكتاباتهم الحية ، وأدائهم الطيب ، وأساليبهم الواضحـــة .

٦ـ المقال الصحفي :

يتـــناول الظـــروف السياسية القائمة ، وما تتركه من مشكلات تحـــتاج لحل سريع ورأي حاسم ، وتاريخ الأمة العربية الحديث والمعاصر مـــر بمشـــكلات سياسية داخلية وخارجية ، تتطلب من رجال الصحافة تحليلها ومناقشتها على بساط البحث للعرض والاستنتاج ، والكاتب فيه مقيد بموضوعات معينة لا تتجاوز أنمارا معينة ، ويمتاز بالبساطة فى التعبير لأنـــه يمـــثل اللغة اليومية لعامة المثقفين ، ويختلف طولا وقصراً ، وتتعدد ألوانـــه بتعدد فنونـــه ، ومن أبرز كتابـــه محمد حسنين هيكل ، ومحمد الـــتابعي ، وفكـــرى أباظة ، وأنيس منصور ، ومحمد زكي عبد القادر ، وعـــلي حمـــدي الجمال وموسى صبري وغيرهم ممن يعملون فى صحف اليوم .

ويمتاز المقال الصحفي [1] عن سواه من المقالات السابقة أن كاتبه يستمد مادته من الواقع ، ويتناول فيه ما يهم البلاد من أحوالها السياسية الداخلـــية والخارجية ، والاقتصادية والاجتماعية ، ويستخدم معلومات حقيقية عن الموضوع ، ويحاول تمكين القارئ من الوعي بهذه المعلومات ، وذلـــك فى عرض عناصره المختلفـــة ، والكشف عن أبعاده وتفاصيله ، بحيث يتمكن القارئ من فهمه والتأثر به .

---

(١) راجع د/ أحمد شوقي رضوان : التحرير العربي ص ١٥١ وما بعدها .

والمقـــال الصـــحفي كـــأي نوع من أنواع المقال التى عرفتها ، يتطلب أن يختار الكاتب موضوعاً يعرف عنه قدراً كافياً من المعلومات ، وأن يكون الموضوع مقبولاً لدى القارئ .

وليس الهدف من المقال الصحفي التطويل ، ولا القدر الكبير من المعلومـــات وإنما التعمق والنظرة الرأسيـــة فى التجارب التى يعيشها على أرض الواقـــع ، ولابد أن يســـأل الكاتب نفسه عن مدى تقبل القارئ لهذا الموضوع واهتمامه به ؟ وكـــأن الكتابة تبدأ فى الواقع من القارئ لا من الكاتب .

فالفكـــرة الجـــيـــدة تعني بالنسبة للمحرر ازدهـــار الصحيفة واســـتمرار حـــياتها وتعـــني بالنسبة للكاتب استمرار النشر ، وللقارئ الإقـــبـــال على الصحيفة أو المجلة كما أنها تعني بالنسبة للناشر مزيداً من المبيعات .

وحين تتبلور الفكرة الأساس فى ذهن الكاتب يختار موضوعه من بـــين الموضـــوعات الـــتى يهتم بها القراء على السواء ، ولعل من أبرزها القضايا العالميـــة ، والشخصيات المميزة ، والموضوعات المتعلقة بالمنافسة من مثل المباريات الرياضيـــة وغيرهـــا .

وإذا اختار الكاتب الموضوع فعليه أن يرسم إطاره وخطته ويجمع المعلومـــات الـــتى يحتاجها ، وينسقها ، وينظمها ، ويجزئ الموضوع إلى وحـــدات وعـــناوين كي يتضح الهدف فى ذهن الكاتب ، ثم يبدأ كتابته بطريقة مقنعة ومثيرة للاهتمام تشد انتباه القارئ ، وترشده إلى فهم فكرة

الكاتـــب وهدفـــه فيســـتمر فى القراءة والأمثلـــة على ذلك كثيرة فى الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية والشهرية .

ويخـــتار الأســـلوب المناسب إذ إن لكل مقال أسلوباً يختص به ويمتاز الأسلوب الصحفي بأنـــه :

١ـــ قصير غالبـــا .

٢ـ يشتمل على فكرة يحسن كاتبها عرضها فى ثوب التشويق .

٣ـــ أسلوب سهل واضح يفهمه كل قارئ .

٤ـــ يميل إلى الإطنـــاب فيما يتطلب ذلك ، وإلى الإيجاز فى كثير من الأمـــور .

٥ـــ يمـــيل إلى الجـــدل فى مناقشة الآراء والاتجاهات المختلفة ، ولـــلمقال الصـــحفي دور كـــبير فى حياتنا المعاصرة ، فالصحف اليومية والمجـــلات الأســـبوعية تحفل به أيما احتفال فهي تحتاج إلى مقالات ذات صـــبغة إخـــبارية مرتبطة بالأحداث الآنية لتستمر حياتها وازدهارها كما أســـلفنا فهي إذن مقيدة بالعامـــل الزمني الدقيق ، أما المجلات الأدبيـــة الشـــهرية والفصلية فقد اهتمت بالمقال اهتماماً خاصاً غير مقيد بالعامل الزمني الدقيق .

ج ـ المقال الموضوعي الذاتي : (*)

قد يجمع الكاتب فى مقالـه بين (الموضوعية والذاتيـة) بحيث تـبدو فـيه دقـة العالم وخيال الأديب ، كأن يعرض المسائل العلمية فى أسـلوب أدبي ، وخـير مثال له المقـال الذى كتبه الشيخ عبد العزيز البشرى عن (الشيخ سيد درويش) يقول :

" وبعـد فإن فن هذا الرجل فوق مالـه من المقدرة الفائقة على الاقتـباس والابـتكار ، ويمـتاز بخلال أربـع : أولها : القوة فلاحظ فى تلحينه للتفكك ولا للانخذال ، وثانيهما : البراعة فى التصرف فهو ينتقل ببساطة من فن إلى فن ، ويتحول به من نغم إلى نغم فى اتساق وانسجام "

إلى أن قـال :" أمـا رابعـة هذه الخلال فهي الذوق والذوق البارع النافذ ، فما أن لحن سيد درويش حتى يكون المعنى شديداً ، وقوى لحـنـه ، ودعم ركنه ، وشد بالصنعة متنه ، فسمعت له قعقة النبـال ، إذا استمر القتـال ، أو مثل زئير الأساد إذا تحفزت الأساد " .

فقـد جمع البشرى فى مقالـه بين الموضوعية والذاتية ، ولم يلجأ إلى العاطفـة ، أو يعـتمد عـلى شعوره فقط ، وإنما بسط الفكرة ، وعالجهـا فى هـدوء واطمئنان ، ومشى لغايته فى ثقـة وآمان بأسلوب منطقي هادئ .

(*) راجع د/ السيد مرسى أبو ذكرى : المقال وتطوره ص ٧٩ وما بعدها .

ثالثاً : المقال بالنسبة لأسلوب الكاتب :

قد يعتمد الكاتب فى أسلوبه على جلال التعبير ، وجمال التصوير وعذوبة الألفاظ ، وخصوبة الخيال فيما يصور أو يعبر ، وقد يؤثر الأسلوب الذى يقوم على سرد الحقائق والتدليل عليها ، وتحديد المفاهيم بدقة ووضوح وبعد عن المشاعر والعواطف ، ومن ثم جاء المقال بالنسبة لأسلوب الكاتب نوعين : أدبي وعلمي .

١ ــ المقالة الأدبية :

هي التى تدرس شخصية أو ظاهرة أو اتجاها أو أثراً فى الأدب والنقد ، أو تتناول الفنون الجميلة والنظريات الفلسفية الاجتماعية التى ترسم خطى المثل العليا : الخير والحق والجمال . [1]

وبعبارة أخرى المقالة الأدبية هي : " التى تتناول شئون الأدب والثقافة [2] ، و تخاطب من يتذوق الأدب بصفة خاصة " [3].

---

(١) راجع د/ السيد مرسى أبو ذكرى : المقال وتطوره فى الأدب المعاصر ص ٨٠ ــ دار المعارف ــ ١٩٨٢م .

(٢) د/ شوقي ضيف : الأدب العربي المعاصر فى مصر ص ٢٠٧ ، دار المعارف ط ٨ .

(٣) د/ عطا كفافي : المقالة الأدبية ص ٣٣ ــ هجر للطباعة والنشر ــ ط ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

وتتمـــيز المقالــــة الأدبية بأسلوب كاتبها وانطباعاتــه وتجاربه الوجدانية والنفسية ، وخلوها من عيوب الأداء اللغوي .

وأبـــرز رجالهـــا مصـــطفى لطفي المنفلوطي ، ومصطفى صادق الرافعي ، وأحمد حسن الزيات ، ومي زيادة ، وطـــه حسين وغيرهم .[1]

وقـــد أفردت لها مجلات خاصة أسبوعية أو شهرية مثل المقتطف والهـــلال ، وعـــلى طول السنين فى هذا القرن تنشأ مجلات مختلفة مثل : السياسة الأسبوعية ، والبلاغ الأسبوعي ، والرسالة ، والثقافة .

وكـــان لهذا النوع من المقالـــة تأثير واسع جداً فى حياتنا الأدبية فى مصـــر ، والبلاد العربيـــة ، وقد نشأت فى القرن الماضي ساذجـــة ثم أخـــذت فى التطـــور ، ولا نصل إلى الجيل الثاني حتى نراه يودع فيها ما قـــرأه عند الغربيين فى الأخلاق والاجتماع وشئون الفكر المختلفة ، ولا نـــتقدم إلى الجـــيل الثالث جيل هيكل والعقاد وطه حسين والمازني حتى تصـــبح المقالـــة الأدبيـــة أثراً فنياً قيماً حقاً ، فهى تمس القلوب وتثير العواطـــف ، وقد اتسعوا بها إلى مباحث عميقة فى الأدب والنقد والفنون الجمـــيلة والنظريات الفلسفية والاجتماعيـــة ، مستهدين فى ذلك بالمثل الإنسانية العليا ، مثل الخير والحق والجمـــال ، وسار فى هذا الطريق غير كاتب من مثل توفيق الحكيم وغيره ممن نقلوا إلينا فى مقالاتهم روح الفكر الغـــربي ومذاهبـــه الاجتماعية والأدبيـــة ، ولم يدعوا مقالاتهم تفنى مع

---

[1] د/ السيد مرسى أبو ذكرى : المقال وتطوره ص ٨٠ .

الصـــحف بـــل جمعوها وطبعوها فى كتب مختلفة حتى يتيحوا لها شيئا من البقـــاء " . [١]

ويعد الزيات أحد أبرز كتاب المقالة الأدبيـــة فى عصره ومقالاته التى أودعها كتبـــه : وحي الرسالـــة ، وفى ضوء الرسالـــة ، وفى أصول الأدب ، تشـــهد بذلك ، فكتابه " فى أصول الأدب " فى أصله مجموعـــة مـــن محاضـــرات ، ومجموعة مقالات تعالج موضوعات أدبيـــة وثقافيـــة نذكـــر مـــنها المقالات التى نشرها فى الصحف ثم جمعها فى هذا الكتاب وهي:

" الأدب العـــربي ، آفة اللغة هذا النحو ، ما لشوقي وما عليه ، العبقرية والقريحة ، أو شوقي وحافظ حول التجديد ، الرواية المسرحية فى الـــتاريخ والفـــن ، المأســـاة ، المأساة فى خلال القرون ، تحليل موجز لأشـــهر المآسي والملهاة ، الملهاة فى خلال القرون ، تحليل موجز لأشهر ملاهى موليير ، المأساة العصرية ، الدراما فى خلال القرون ، تحليل موجز لرواية هرناني " . [٢]

وهذه إحدى مقالاته وعنوانها " الأدب العربي " يقول فيها :

---

(١) راجع بتصرف د/ شوقي ضيف : الأدب المعاصر فى مصر ـــ دار المعارف ـــ ص ٢٠٧ ، الطبعة الثامنـــة .

(٢) راجـــع / أحمد حسن الزيات : فى أصول الأدب ـــ محاضرات ومقالات فى الأدب العـــربي ١ / ٩٢ ـ ٢١١ ـــ الطبعة الأولى ـــ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـــ ١٣٥٣هـــ / ١٩٣٥م .

الأدب العربي :

أدبـــنا العربي على سعته وجمالـــه فوضى : فلا حدوده مرسومة ولا مـــناهجه معلومـــة ، ولا قواعده ثابتـــة ، فنحوه أصـــداء مختلطـــة مـــبهمة لـــلهجات القبائل الجاهليـــة لا يكاد يتفق على وجه من وجوه الإعـــراب ، ولا يطـــرد فى مذهب من مذاهب القول ، حتى ليوشك أن يكون كل كلام صواباً وكل كلام خطـــأ ، وبلاغتـــه مسائل اجتهادية ، وقضـــايا جدلـــيـــة ، ونكات لفظيـــة ، لا تحور إلى فن ولا تكشف عن غايـــة ، كأنها وضعت لكل شيء غير الشعر والكتابة ! ومذاهبه مطموسة الأعـــلام دراســـة الرسوم لا تدرى أين تبتدئ ولا أين تنتهي ، فالكاتب يسلك إلى غايته السبيل بعد السبيل ، وهو يظن نفسه على الجادة الأولى! وربمـــا وجدت فى المقال الواحد ازدواج ابن المقفع ، وفقرات الجاحظ ، وسجعات ابن العميد ، ونكات القاضي الفاضل ، وترسل ابن خلدون ! ذلـــك لأن الأدب العربي لم يكن أدب أمة واحـــدة ، ولا مظهر ثقافـــة واحـــدة ، ولا محصـــول لســـان واحـــد ، إنما هو مجموعة من الأخيلة والتصورات والمعتقدات التى امتزجت بامتزاج الأمم الإسلامية فى شباب الدولـــــة العباسية ، فهو أشبه بالبحر لكل نهر فيه مصب ، ولكل ملاح فـــيه طـــريق ، وفى كـــل ناحية منه تيـــار ، ثم هو من بعد مجتمع اللؤلؤ والمـــرجان ، ومستودع المحار والحجر ، على أن الدهر مالبث أن نظر إلى هـــذا البحر العجيب الهادر فجفت روافده ونضبت موارده وجزر ماؤه ،

حـــتى ارتـــد إلى مثل الغدير الآسن يطن على متنه البعوض ، وتنق على حافتيه الضفادع .

وانحســـرت ظـــلال الأدب العربي قبل أن تعبد طرقه ، وتمحص قواعــــده ، ويكمل نقصـــه ، وطمت سيول العجمة على ما بذر عبد القاهـــر وابن الأثير فاعتاقته عن النماء والتفرع ، وأخذت الألسنة العيية تـــتحرك فى هذا التراث المضاع بالهـــراء والهذر فعفوا طرائقه ، وشوهوا حقائقـــه ، ثم ألقوه بين أيدينا جثـــة يتردد فيها ذماء ، وصورة لا يجول فيها رونق ولا مـــاء ، فنظرنا فيه فإذا هو مسيخ الخلق منكر الطلعة ، لا إلى القديم ولا إلي الجديد فوقفنا منه موقف الأثرى من حلل فرعون يحيص جوانـــبها لتنظر لا لتلمس ، وتؤثر لا لتلبس ، وأخذنا نجدد هذا الأدب البالي بالشرح والتلخيص والدرس دون أن ندعم أساسه الواهي ، ولا أن نـــرفع بناءه المنقض ، فما برحنا نعتمد فى البـــلاغة على تقسيم القدماء وتعلـــيمهم ، ونقصرها على تعليلهم وتمثيلهم ، فنعزو أهم دواعي التقديم والـــتأخير والحذف والذكر مثلاً إلى محو ما قالـــوه من تعجيل الإساءة أو المسرة ، والتسجيل على السامع ، وصون اللسان عن ذكره ، ونقول فى التشبيه : إن الثريا كعنقود العنب المنـــور ، وفى الاستعارة : رأيت أسداً فى الحمـــام ، أو عـــلى فرس ، وفى الكنايـــة : زيد كثير الرماد أو جبان الكلـــب ، أو مهـــزول الفصيل ، ونقرض الشعر على النمط القديم من الـــوزن القافـــية والأســـلوب والغرض ، كأن لم نسمع إلى اليوم بالشعر القصصي والتمثيلي ؛ ونصرف النثر فى تدبيج الفصول وإنشاء الرسائل ،

والغـــرب يمطرنا كل بريد فنوناً شتى من القصص الرفيع يعالج فيه كتابه مشاكل الحياة ومسائل اليـــوم ! .

لقـــد اختلفـــت مذاهـــب الكلام ، وتعددت أغراض الكتابة ، وتنوعت فنون الإنشاء ، ورأى شبابنا فى الأدب الغربي صوراً حقيقية حية لما يجول فى نفوسهم ويتنـــزى فى رءوسهم من الهـــوى والأمل والفكر ، فأقـــبلوا علـــيه ظمـــــاء مهطعـــين ينهلون العذب الروى من حياضه ، ويقطفـــون الحلـــو الجنى من رياضـــه ، وتركوا أدبنا الصناعي التقليدي المتشـــابه يذوى على ألسنـــة المحافظين وأقـــلام الجامدين من بقايا العهد القديم .

فالحـــال إذن تنادى بإعادة النظر فى علوم الأدب وفنون الإنشاء فيصـــلح منها الفاسد ويتمم الناقص ، ويفصل المجمل ، لتتسع لأغراض الحياة ومقتضيات الحضارة ومطالب العصر ، ويقيننا أن أقدر الناس على الاضطلاع بهذا العبء الخطير هم أساتذة الجامعـــة لما تهيأ لهم من وسائل الـــدرس ، وحـــريـــة البحث ، وقوة الأثر ، أما أساتذة المدارس الثانوية فذلـــك ممـــا يفوت مبلغ عملهم ، ولا يقع فى حبالـــه أملهم ، ما داموا يســـيرون فى طـــريق مسدود ، ومنهاج محدود وكتاب مقرر ، وما داموا يصطنعون فى تعليم الأدب هذه الطرق القديمة العقيمة التى تفصل القواعد عـــن الإنشـــاء ، فـــتجعل منها فنين مستقلين لا يتصلان ولا يتقاربان ، وينصـــح لهـــم أن يكون لكل منهما أخصائيون على حسب استعدادهم واجـــتهادهم ، كأن القواعد وضعت لغير الإنشاء ، وكأن الإنشاء يقوم عـــلى غير قواعد ! حتى كان من ذلك أن عاف الطلاب فنون اللسان ،

وســـموا مصطلحات البيان ، وقال بعضهم لبعض : ما معنى أن نحفظ أن " قضـــايا " أصـــلها قضـــائي ، وقعت الياء بعد ألف زائدة فقلبت همزة فصارت قضائي ، ثم فتحت الهمزة للتخفيف فصارت قضاءي ، تحركت الـــياء وفـــتح ما قبلها فقلبت ألفا فصارت قضاءا ، فاجتمع شبه ثلاث ألفات فقلبت الهمزة ياء فصارت قضايا ؟ .

أو أن نقـــول فى نحو " لأصلبنكم فى جذوع النخل " شبه مطلق الارتـــباط بـــين مســـتعل ومســـتعلى عليه ، بمطلق الارتباط بين ظرف ومظـــروف فـــيه ، بجامع التمكن فى كل ، ثم سرى التشبيه من الكليات للجزئـــيات ، واســـتعير جزئى من جزيئات المشبه به لجزئى من جزيئات المشـــبهة على طريق الاستعارة التصريحية التبعية ، ما معنى أن نحفظ ذلك وشبهه ، ونحن لا نجيد التفكير ولا نحسن التعبير ولا ندرك العلاقة بين هذا وبـــين الكـــتابة ، فقـــد درجنا وسبيل المعلم أن يقترح الموضوع ويبسط الفكـــرة وســـبيلنا نحن أن نختزل ما يقول بألفاظ متنافرة ، وجمل متناكرة وسياق مضطرب ، وأسلوب مهلهل ؟ !!

لا جـــرم أن قـــد آن لمعلمي البيان أن يصيحوا إلى هذا الهمس الســـاخر والإنكـــار الحق ، فيوقفوا بين موروث البلاغـــة ومستحدث الأســـاليب ، ويؤلفـــوا بين ذوق الأسلاف وذوق الأخلاف ، ويوسعوا نطـــاق الفن الكتابي ليشمل الملحمة والقصة والرواية ، فإن الأدب أصبح اليوم شعبياً فيه لكل نمط نصيب ، لكل غرض سهم ، ولكل غاية مسلك ومـــا مثل الذين يحاولون أن يحصروا فنون الأدب فى حدود القدمـــاء ، ولا يســـتذيق لهم الشعر إلا مسنوم المـــدح والرثـــاء ، إلا كمثل الذين

يحاولون أن يحصروا السيل الجحاف فى المغيض الضحل ، ويتلهون بفقاقيع الماء عن المنطاد السبوح !

تحليل المقالة :

يبدأ كاتب المقالــة بحكم عام على الأدب العربي بالفوضى رغم اتســاعه وجمالــه ، ويقصد بالفوضى عدم وضوح حدوده واختفــاء مــناهجه ، وعــدم ثبات قواعــده ، سواء فى النحــو أو البلاغــة أو الكتابة ، ويعلل لذلك فى رأيــه أن الأدب العربي مجموعــة من الأخيلة والتصورات والمعتقدات التى امتزجت بامتزاج الأمم الإسلامية فى شباب الدولــة العباســية ، ثم ما لبث أن انحسرت ظلال الأدب العربي على تــراث الأقدمين فى التشبيه والكناية والتقديم والتأخير والذكر والحذف والقصــيدة القديمة فى الوزن والقافية والأسلوب والغرض ، ثم يدعو إلى إعــادة الــنظر فى علوم الأدب وفنون الإنشاء ويلقى بذلك العبء على أكتاف أساتذة الجامعــة ليوفقوا بين الموروث والمستحدث ، ويؤلفوا بين ذوق الأســلاف وذوق الأخــلاق ويوسعوا نطاق الفن الكتابي ليشمل الملحمة والقصة والروايــة .

ونوافق الكاتب على الدعوة إلى التجديد لكن فى حدود ما يحفظ قديمــنا ، وفى ظلالــه ، فنأخذ من الحضارات ما يوافق ذوقنا ، وديننا ، ويحفظ لغتنا وكتابنا ، ففى ظل دعاوى التجديد يتستر الهدف الداعى إلى هدم اللغة والأخلاق ، والأعراف التى ورثناها عن الأســلاف .

وللزيات فى " وحي الرسالــة " مقالات أدبية أخرى يعالج فيها موضوعات تتصل بالثقافة والأدب مثل :" فى الموقف الأدبي الحاضر " [١] و " حاضر الأدب العربي " [٢] و " أدب السندوتش " . [٣]

٢ــ المقال العلمي :

الــذى يعــرض نظــرية مــن نظريات العلم ، أو مشكلة من مشــكلاتــه عرضــا موضوعيا صرفا ، بأسلوب يتميز بالدقة فى تحديد المفاهــيم ، ويعــتمد على الأدلــة والبراهين والحجج القاطعة ويدعم فى الغالــب بالأرقام والاحصائيات والشواهد والتجارب ، ويمتاز بالوضوح والاستقصــاء ، والدخول فى الموضوع مباشرة ، ووضع المصطلح العلمي فى المكــان اللائق به ، وأبرز رجالــه يعقوب صروف ، وفؤاد صروف ، وأحمد زكي وغيرهم ممن برزوا فى هذا المجــال .

وأقــرا نصاً فى وصف الأهرام : " كان القصد من بناء الأهرام إيجــاد مكــان حصين خفى يوضع فيه تابوت الملك بعد مماتــه ، ولذلك شيدوا الهرم الأكبر ، وجعلوا فيه أسرابا خفية زلقة صعبة الولوج لضيقها وانخفاض سقفها وأقلاسها حتى لا ينسى لأحد الوصول إلى المخدع الذى به التابوت ، ومن أجل ذلك أيضا سد مدخل الهرم بحجر هائل متحرك ،

---

(١) أحمد حسن الزيات : وحي الرسالة ١ / ١٣٧ وما بعدها .

(٢) أحمد حسن الزيات : وحي الرسالة ٣ / ٢٠٦ .

(٣) أحمد حسن الزيات : وحي الرسالة ١ / ٤٢١ .

ولا يعـــرف سر تحريكه إلا الكهنة والحراس ، ووضعت أمثال هذا الحجر على مسافات متتابعة فى الأسراب المذكورة ، وبهذه الطريقة بقى المدخل ومـــنافذ تلك الأسراب مجهولة أجيالا من الزمان ، ويعد الهرم الأكبر من عجائـــب الدنـــيا ، قـــرر المهندســـون والمؤرخـــون أن بـــناءه يشمل ٢,٣٠٠,٠٠٠ حجـــر متوســـط وزن الحجر منها طنان ونصف طن ، وكـــان يشتغل فى بناء الهرم مائة ألف رجل يستبدل بهم غيرهم كل ثلاثة أشـــهر ، وقـــد استغرق بناؤه عشرين عاماً ، وجميع هذا الهرم شيد من الحجـــر الجيري الصلب ما عدا المخدع الأكبر فإنه من الصخر المحبب ، وكـــأن الهـــرم مغطى بطبقة من الجرانيت فوقها أخرى من الحجر الجيري المصقول ، ووضع الملاط بين الأحجار فى غاية الدقة حتى كان الناظر إلى الهرم يكاد يظنه صخرة واحدة " . [1]

فقـــد اخـــتار الكاتب الحقائق لأهميتها فى الحديث عن الأهرام ، ورتـــبها بطريقة منظمة ، فذكر سبب البناء ، ثم أخذ يفصل الأفكار التى تتصـــل بالبـــناء اتصالا مباشراً ، وعبر عن ذلك كله بعبارة سهلة دون طغيان شخصية الكاتب فيـــه .

---

[1] راجع : تاريخ مصر إلى الفتح الإسلامي ص ١٦ ـــ ١٧ .

الفرق بين أسلوب المقال الأدبي والعلمي :

ويجـــدر بنا أن نوازن بين أسلوب المقال الأدبي ، وأسلوب المقال العلمي حتى نقف على الفروق بينهما ، والسمات التى تميزهما عن بعض:

١ـ يخاطـــب الأســـلوب الأدبي العاطفة ، ويناجي الوجدان ، ويـــبدو أثر الانفعال فيه واضحا ، بينما الأسلوب العلمي يخاطـــب العقل ، ويترسم خطى المنطق ، ويقوم على إبراز الحقـــائق والأفكـــار والمعاني العقلية ، ولذا لا أثر للانفعال والعاطفة فيـــه .

٢ـ يعـــتمد الأســلوب الأدبي على الصور الخيالية ، والصنعة البديعـــية ، والكـــلمات الموسيقية التى هي مظهر الانفعال العميق ، تقابلها فى الأسلوب العلمي المصطلحات العلمية ، والأرقـــام الحســـابية ، والصفات الهندسية التى هي مظهر العقل المدقق .

٣ـ يجمع الأسلوب الأدبي بين الإفادة والتأثير ، لأن غايته إثارة نفوس السامعين يعرض ما يعين له فى صور جميلة رائعة ، أما الأسلوب العلمي فيجمع بين الدقة والاستقصاء ، لأن غايته عـــرض الحقـــائق لنشر التعليم ، وتعميم المعرفة ، وتنوير العقول .

٤ـ يتجلى فى الأسلوب الأدبي التكرار وإبراز الفكرة فى صور عديـدة ، أما الأسلوب العلمي فيصور المعنى فى ثوب من الألفاظ محكم النسج ، خال من تكرار الفكرة وترديدها .

٥ـ يمـتاز الأسـلوب الأدبي بجزالـة الألفاظ ، ودقة المعاني ، وروعـة العـبارات ، أما الأسلوب العلمي فيمتاز بالدقة والـتجديد والاستقصاء والسهولة والوضوح لصدروه عن عقل رزين همه إبراز الحقائق وتوضيحها .

٦ـ يسـمى الأسـلوب الأدبي " النثر الفني " لاهتمامه بتعميم العـبارة ، والوقوف على مواطن الجمال والجلال والروعة والاقتدار ، وليس الأسلوب العلمي على غراره .

مـن هـذا يتبين لك أن بين الأسلوبين فرقاً واضحاً فى الصياغة والهدف وتأمل قول أحمد شوقي فى " الأهـرام " يقول :

" مـا أنـت يـا أهرام ؟ أشواهق أجرام ، أم شواهد أجرام ، وأوضـاع معالم ، أم أشباح مظالم ؟ وجلائل أبنية وآثار ، أم دلائل أنانية واستئثار ؟ وتمثال منصب من الجبرية أم مثال صاح من العبقرية ؟ يا كليل البصـر عن مواضع العبر ، قليل من البصر بمواقع الآثار الكبر ، قف ناج الأحجـار الـدوارس ، وتعلم فإن الآثار مدارس ، هذه الحجارة حجور لعب عليها الأول ، وهذه الصفائح صفائح ممالك ودول ، وذلك الركام من الرمال غبار أحداج وإهمال ، من كل ركب ألم ثم مال ، فى هذا الحرم درج عيسـى صـبيا ، ووقعت بين يديه الكواكب جثيا ، وها هنا جلال

الخلـــق وثبوتـــه ، ونفاذ العقل وجبروتـــه ، ومطالـــع الفن وبيوتـــه ، ومن هنا نتعلم أن حسن الثناء مرهون بإحسان البناء " . [١]

فقـــد عـــرض أحمـــد شوقي المعنى الواحد فى صور مختلفة ، تمثل الجـــلال والعظمة ، ثم نجده يعرض فكرة الضخامة مرة فى صورة علم ، ومرة فى صورة هضبة ، وثالثة فوق الجبال والهضاب ، كذلك عالج أحمد شوقي فكرة الخلود ، فصورها فى عـــدة صور .

---

(١) راجع : أسواق الذهب ص ٦٩ .

الخاتمـة

الحمـــد لله الـــذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله والصـــلاة والســـلام على سيدنا رسول الله ـــ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه ـــ .

وبعـــــــــد ،،،

فهـــذه محاضـــرات عن " فن كتابة المقال " حاولنا فيها تعريف الطـــلاب بهذا الفن ، ومدى أهميته ، وتاريخه ، وكيفية كتابته ، وأنواعه ، مـــع عرض نماذج منه لكبار الكتاب فى العصر الحديث وتحليلها ، لعلها تكـــون عوناً للطلاب والقراء فى التعرف على هذا الفن الفنى ومحاولـــة قراءته وإنشائه .

والله ولى التوفيق

وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أ.د / زهران محمد جبر
أستاذ ورئيس قسم الأدب والنقد
بكلية اللغة العربية بأسيوط

أ.د / داود لطفي حافظ
أستاذ الأدب والنقد المساعد
بكلية اللغة العربية بأسيوط

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع	الصفحة
الفصل الأول : المقالة وخصائصها الفنية	٣
ـ تعريف المقالة	٣
ـ الخاطرة والمقال والبحث	٥
ـ خصائص المقالة الأدبية	٩
ـ صفات كاتب المقالة الأدبية	١٦
الفصل الثاني : نشأة المقالة وتطورها	٢٥
ـ المقالة الأدبية والتراث العربي	٢٥
ـ المقال فى الأدب العربي الحديث	٣٧
ـ أثر الصحف فى تطور المقال	٥٥
الفصل الثالث : فن كتابة المقال	٦٤
ـ الخطوات التى ينبغي أن يمر بها كاتب المقال	٦٤
ـ العناصر التى يقوم عليها المقال	٨٩
الفصل الرابع : أنواع المقال ونماذج منه	٩٤
أولاً : بالنسبة للشكل الفني	٩٤
ـ أنواع المقال	٩٤

الموضـــوع	الصفحة
١ـ المقال الوصفي أو السردي	٩٤
٢ـ المقال التوضيحي	١٠١
٣ـ المقال التحليلي	١٠٣
ثانياً : المقال بالنسبة لموقف الكاتب	١١١
ثالثاً : المقال بالنسبة لأسلوب الكاتب	١٥٨
أ ـ المقال الأدبي	١٥٨
ب ـ المقال العلمي	١٦٦
ـ الفرق بين أسلوب المقال الأدبي والعلمي	١٦٨
الخاتمـــة	١٧١
فهرس الموضوعات	١٧٢